

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نتوجه إليك ونسعى نحوك ونجاهد نفوسنا في طاعتك ونركب الصراط المستقيم الذي نهجته لنيل مرضاتك
فأعنا بقوتك واهدنا بعزتك واعصمنا بقدرتك وبلغنا الدرجة العليا برحمتك والسعادة القصوى بجودك ورأفتك فإنك
على ما تشاء قدير غرضنا في هذا الكتاب أن نحصل لأنفسنا خلقاً تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة
ويكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقة ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي والطريق
إلى ذلك أن نعرف أولاً نفوسنا ما هي وأي شيء هي ولأي شيء أوجدت فينا أعني كمالها وغايتها وما قواها و
ملكاتها التي إذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها هذه الرتبة العلية وما الأشياء العائقة لنا عنها وما الذي
يزكيها فتفلح وما الذي يدسيها فتخيب فإن الله عز وجل يقول ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب
من دسيها ولما كان لكل صناعة مبادي عليها تبتني وبها تحصل وكانت تلك المبادي مأخوذة عن صناعة أخرى
فليس في شيء من هذه الصناعات أن يبين مبادي نفسها كان لنا عذر واضح في ذكر مبادي هذه الصناعة على طريق
الإجمال والإشارة بالقول الوجيز وإن لم يكن مما قصدنا له واتباعها بعد ذلك بما توخيناه من إصلاح الخلق
الشريف الذي تشرف به شرفاً ذاتياً حقيقياً لا على طريق العرض الذي لا ثبات له ولا حقيقة أعني المكتسب بالمال والتكاثر
والتكاثر أو السلطان والمغالبة فلا اطلاع على المواضعة فنقول وبالله التوفيق إنه لا يتبين أن في الإنسان شيئاً ليس بجسم ولا جزء جسم
ولا يحتاج في وجوده إلى قوة جسمية بل هو جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس ثم نبين ما هو وما مقصوده منه ولما خلقنا

بذاته **فنقول** انا لما وجدنا في الانسان شيئا ما يضاد افعاله الاجسام واجزاء الاجسام بحده وخواصه وله افعال تباين
افعال الجسم وخواصه حتى لا يشاركه في حال من الاحوال وكذلك نجده يباين الاعراض ويضادها كل المباينة ثم وجدنا
هذه المضادة والمباينة منه للاجسام والاعراض انما هي من حيث كانت الاجسام اجساما والاعراض اعراضا حكمنا
بان هذا الشيء ليس بجسم ولا جزء من جسم ولا عرض وذلك انه لا يستحيل ولا يتغير وايضا فانه يدرك جميع الاشياء
بالسوية ولا يلحقه فتور ولا كلال ولا نقص **وبيان** ذلك ان كل جسم له صورة فانه ليس يقبل صورة اخرى من
جنس صورته الاولى الا بعد مفارقته الصورة الاولى مفارقة تامة مثال ذلك ان الجسم اذا قبل صورة او شكلا من الاشكال
كالتثليث مثلا فليس يقبل شكلا آخر من التربيع والتدوير وغيرهما الا بعد ان يفارقه الشكل الاول وكذلك اذا قبل
صورة نقش او كتابة او اي شيء كان من الصور فليس يقبل صورة اخرى من ذلك الجنس الا بعد زوال الاولى وبطلانها البتة
فان بقي فيه شيء من رسم الصورة الاولى لم يقبل الصورة الثانية على التمام بل تختلط فيه الصورتان فلا يخلص له
احدهما على التمام ومثال ذلك الشمع اذا قبل الشمع صورة نقش في الخاتم لم يقبل غيره من النقوش الا بعد ان يزول عنه رسم
النقش الاول وكذلك الفضة اذا قبلت صورة الخاتم وهذا حكم مستمر في الاجسام كلها ونحن نجد انفسنا تقبل صور
الاشياء كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات على التمام والكمال من غير مفارقة للاولى ولا معاقبة ولا زوال رسم بل يبقى
الرسم الاول تاما كاملا ثم لا يزال يقبل صورة بعد صورة ابدا دائما من غير ان يضعف او يقصر في وقت من الاوقات عن قبول ما
يطرأ عليها من الصور بل تزداد بالصورة الاولى قوة على ما يرد عليها من الصور الاخرى وهذه الخاصة مضادة لخواص الاجسام
وبهذه العلة يزداد الانسان فهما كلما ارتاض وتخرج في العلوم والآداب فليست النفس اذن جسما فاما انها ليست عرضا
فيتبين من قبل ان العرض لا يحمل عرضا لان العرض في نفسه محمول ابدا اي موجود في غيره لا قوام له بذاته وهذا
الجوهر الذي وصفنا حاله هو ايضا حامل تام وكامل من حمل الاجسام الاعراض فاذن النفس ليست جسما ولا جزءا
من جسم ولا عرضا **وايضا** فان الطول والعرض والعمق الذي به صار الجسم جسما يحصل في النفس وفي قوتها
الوهمية من غير ان يصير به طويلا ولا عريضا ولا عميقا بل لا يصير جسما البتة ولا اذا تصورت ايضا بكيفيات الجسم
تكيفت بها اعني اذا تصورت الالوان والطعوم لم تتصور بها كما تتصور الاجسام ولا يمنع بعضها قبول اضداده كما يمنع في الجسم
بل يقبلها كلها في حالة واحدة بالسوية وكذلك حالها في المعقولات فانها تزداد بكل معقول تحصله قوة على تقبل غيره

دائما ابدا بلا نهاية وهذه حال مقابلة لاحوال الاجسام وما صنعت غاية العكس لهما **وايضا** فان الجسم وقواها
لا تعرف العلوم الا من الحواس لا تشتاق الا اليها فهي تشتاق بالملابسة والمشابكة مثل الشهوات البدنية ومحبة الانتقام
الغلبة وبالجملة كلما بحثت ووصل اليه بالحس فهي تزداد بهذه الاشياء قوة وتستفيد منها تماما وكمالا لانها مادية وليست
منها فهي فرحة بما يشتاق اليها من اجل انها تتمم بها وتزيد فيه وتمكنها ما هذا المعنى الاخر الذي سميناه نفسا فانه كلما تباعد من
هذه المعاني البدنية التي تحصينا وتدخل الى ذاته وتخلى عن الحواس بالفكر ما يمكن ازداد قوة وتماما وكمالا ويظهر له الآراء
الصحيحة والمعقولات البسيطة وهذا ادل دليل على انها من غير طباع الجسم البتة وانه اكرم جوهرا وافضل طباعا من كل ما
في هذا العالم من الامور الجسمانية **وايضا** فانه يشتاق الى ما ليس في طباع البدن وحرصه على معرفة حقائق الامور الالهية وميله الى
الامور التي هي افضل من الامور الجسمية وايثاره له وانصرافه عن الامور واللذات الجسمانية بتحصيل اللذات العقلية يدلنا
دلالة واضحة على انه من جوهر اعلى واكرم جدا من الامور الجسمانية لانه لا يمكن في شيء من الاشياء ان يشتاق ما ليس من طبيعته
ولا ان ينصرف عما يكمل ذاته ويقوم جوهره فاذا كان افعال النفس اذا انصرفت الى ذاتها وتركت الحواس مخالفة لافعال البدن
ومضادة لمعانيه وارادتها فلا محالة ان جوهرها مفارق لجوهر البدن ومخالف له في طبيعته **وايضا** فان النفس وان كانت
تأخذ كثيرا من مبادئ العلوم عن الحواس فان لها من نفسها مبادي اخر وافعال لا تأخذها عن الحواس البتة وهي المبادي الشريفة
العالية التي يبتنى عليها القياسات الصحيحة وذلك انها اذا حكمت انه ليس بين طرفي النقيض واسطة فانها لم تأخذ هذا
الحكم من شيء آخر لانه اول ولو اخذته من شيء آخر لم يكن اول **وايضا** فان الحواس تدرك المحسوسات فقط واما النفس فتدرك اسباب
الاتفاقات واسباب الاختلافات التي بين المحسوسات وبين معقولاتها التي لا تستعين عليها بشيء من الجسم ولا آثار الحس وكذلك اذا حكمت
على الحس بانه صدق او كذب فليس تأخذ هذا الحكم من الحس لانه لا يضاده ونفسها تحكم به ونحن بهذا الفعل العاقلة فينا نستدرك كثيرا من خطأ
الحواس في مبادي ضعفها وترد عليها احكامها من ذلك ان البصر يخطئ فيما يراه من قريب ومن بعد اما خطؤه في البعيد
فبادراكه الشمس صغيرة مقدارها عرض قدم وهي مثل الارض كلها مائة ونيفا وستين مرة فتشهد بذلك البرهان العقلي فنقبل منه
ما حصل الحس ما شهد فلا نقبله واما خطؤه في القريب ففي منزلة ضوء الشمس اذا وقع علينا من ثقب مربعات صغار كالكوى
البواري واشباهها التي يتخلل بها فنرى ذلك الضوء الواصل الينا منها مستديرا فنقف عليه هذا الحكم ونغلطه في ادراكه
ونعلم انه ليس كما يراه ويخطئ البصر ايضا في حركة القمر والسحاب والسفينة والشاطئ ويخطئ في الاشياء ونقص الشكل

واشتياقها الى [illegible] الى الاشياء التي [illegible] الاستزادة حتى [illegible]

كما انها [illegible] الاشياء [illegible] حتى ترى بعضها اكبر [illegible] وترى بعضها [illegible]

[illegible] وترى بعضها [illegible] [illegible] ويحكم عليها

احكاما صحيحة وكذلك الحال في حاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس في ان حاسة [illegible]

تغلط [illegible] وحاسة [illegible] تغلط في [illegible] وما اشبهها وحاسة

[illegible] كثيرا في الاشياء [illegible] والعقل يرد هذه القضايا وينقضها و

اسبابها ويحكم فيها احكاما صحيحة [illegible] رتبة من الحكم [illegible]

[illegible] فليس يأخذ هذه العلوم من الحس [illegible] واذا [illegible] ادركت

فليس تعلم هذه العلوم من علم اخر [illegible] في ذلك العلم ايضا الى علم اخر [illegible] الى ما لا نهاية

فان علمها بانها علمت [illegible] بل هو من ذاتها وجوهرها [illegible] وليست تحتاج في ادراك

ذاتها الى شيء اخر [illegible] هذا ما قيل [illegible] العقل والعاقل والمعقول شيء واحد [illegible] وهذا شيء

يتبين في موضعه واما الحواس فلا تعرف ذواتها ولا ما هو معها [illegible] كما [illegible] فقد تبين

من هذه الاشياء بيانا واضحا ان النفس ليست بجسم ولا جزء من جسم ولا حال للجسم وانها شيء اخر مفارق للجسم بجوهرها

واحكامها وخواصها وافعالها فنقول ان [illegible] الافعال الخاصة بها [illegible] فهو

فضيلتها وبحسب طلب الانسان لهذه الفضيلة وحرصه عليها يكون فضله وهذا الفضل يتزايد بحسب عنايته

بنفسه وانصرافه عن الامور العائقة له عن هذا المعنى بجهده وطاقته وقد [illegible] الاشياء العائقة عن الفضائل هي

الاشياء البدنية واللذات [illegible] فاما الفضائل [illegible] الا بعد ان يطهر [illegible] من رذائل

[illegible] فان الانسان اذا علم ان هذه الاشياء ليست

فضائل [illegible] انها فضائل [illegible]

[illegible] الفضائل [illegible] ان هذه الاشياء التي [illegible]

[illegible] فضائل [illegible] [illegible]

الاستكثار منها والحرص عليها كالخنزير والكلب وحيوانات كثيرة من حيوان الماء وسباع الوحش والطير فاما القوى والآلات التي
علت بهذه الاشياء واكثر انها الا انها ليست تكون بها افضل من الانسان ولهذا فان الانسان اذا اكثر من طعامه
وشرابه وسائر اللذات البدنية اذا حرص عليه الاستكثار منها كما يستكثر من الفضائل بل من ذلك تقربه من البهائم حتى يعرض
بتعاطيها الاشياء مع الاستغناء عنها والاكتفاء منها بل يتجاوز ذلك الى مقته وذمه بل الى تقريعه وتاديبه فينبغي الآن
ان نقدم لما نطلبه من سعادات النفس وفضائلها كلاما يسهل فهم مراتبها فنقول كل موجود من حيوان ونبات وجماد
كذلك بسائطها اعني النار والهواء والماء والارض وكذلك الاجرام العلوية لها قوى وملكات وافعال بها صار ما هو فبها هو
الموجود هو ما هو وبها يتميز عن كل ما سواه وله ايضا قوى وملكات وافعال لها يشارك ما سواه ولما كان الانسان من بين
الموجودات كلها هو الذي يلتمس له الخلق المحمود والافعال المرضية وجب ان لا ينظر في هذا الوقت في قواه وملكاته وافعاله
التي بها يشارك سائر الموجودات اذ كان ذلك من حق صناعة اخرى وعلم آخر يسمى العلم **الطبيعي** فاما افعاله وقواه
وملكاته التي يختص بها من حيث هو انسان وبها تتم انسانيته وفضائله فهي الامور الارادية التي يتعلق بها قوة الفكر والتمييز والنظر في
يسمى الفلسفة العملية والاشياء الارادية التي تنسب الى الانسان تنقسم الى الخيرات والشرور وذلك ان الغرض المقصود بوجود
الانسان اذا توجه الانسان نحوه حتى يصل اليه هو الذي يجب ان يسمى به خيرا وسعيدا واما من عاقه عوائق اخر عنها فهو
الشرير الشقي فان الخيرات هي الامور التي تحصل للانسان بارادته وسعيه من الامور التي لها وجد الانسان ومن اجلها
خلق والشرور هي الامور التي تعوقه عن هذه الخيرات بارادته وسعيه او كسله وانصرافه والخيرات قد قسمها الاولون الى
اقسام كثيرة نحن نعدها فيما بعد ان شاء الله **وقد** قدمنا القول ان كل واحد من الموجودات له كمال خاص به وفعل
لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشيء اعني انه لا يجوز ان يكون موجود سواه اصلح لذلك الفعل منه وهذا
حكم مستمر في الامور العلوية والامور السفلية كالشمس وسائر الكواكب وكانواع الحيوان كلها كالفرس والبازي وكالنبات
والمعادن وكالعناصر البسائط التي يتضح لطالبها تبين ذلك ويجيبها صحة ما قلناه وحكمنا به فاذن الانسان
من بين سائر الموجودات له فعل خاص به لا يشاركه فيه غيره وهو ما صدر عن قوته المميزة المروية فكل من كان تمييزه
اصح ورويته اصدق واختياره افضل كان اكمل في انسانيته وكما ان السيف والمنشار وان صدر عن كل واحد منهما
فعله الخاص بصورته التي من اجلها عملنا فافضل السيوف ما كان امضى وانفذ وما كان له ايسر من الايهام في بلوغ كمالها

كماله الذي اعدّ له وكذلك الحال في الفرس والبازي وسائر الحيوانات كالاخرى فان افضل الافراس ما كان اسرع كرّاً
واشدّ نشاطاً لنابيه الفارس في ملاحة اللجام وحسن القبول في الحركات وخفة العدو والنشاط وكذلك الانسان
افضلهم من كان اقدر على افعاله الخاصة به واشدهم تمسكاً بشرائط جوهره الذي تميّز به من الموجودات فاذاً ان بالرأي
الذي لا مرية فيه ينبغي ان نحرص على الخيرات التي هي كمالنا التي من اجلها خلقنا ونجتهد في الوصول الى الانتهاء
اليها ونتجنب الشرور التي تعوقنا عنها وتنقص حظنا منها فان الفرس اذا قصر عن كماله ولم يظهر افعاله الخاصة به على افضل
احواله حطّ عن مرتبة الفرسية واستعمل بالاكاف كما يستعمل الحمير وكذلك السيف وسائر الآلات متى قصرت
ونقصت افعاله الخاصة بها حطت عن مراتبها واستعملت استعمال ما دونها فاما الانسان اذا نقصت افعاله وقصرت
عما خلق له اعني ان يكون ذا روية وافعاله التي تصدر عنه عن روية غير كاملة فحري ان يحط عن مرتبة الانسانية الى مرتبة
البهيمية هذا اذا صدرت افعاله الانسانية عنه ناقصة غير تامة فاما اذا صدر عنه ضدها اعني الشرور التي
تكون بالروية الناقصة او العدول بها عن جهتها لاجل الشهوة التي يشارك فيها البهيمية او الاغترار بالامور الحسية التي
تشغله عما عرض له من تزكية نفسه التي يرتقي بها الى الملك الرفيع والى السرور الحقيقي وتوصله الى قرة العين التي قال
الله عز وجل وعز من قائل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وتبلغه الى جوار رب العالمين في النعيم المقيم واللذات التي
لم ترها عين ولا سمعتها اذن ولا خطر على قلب بشر فانقطع عن هذه الموهبة السعدية الشريفة بتلك الخساسات التي
لا ثبات لها فحقيق ما المقت من الله عز وجل خليق بتعجيل العقوبة له والراحة منه ولا يأمنه العباد والبلاد
منه **واذ** قد تبين ان سعادة كل موجود من اشخاص الانسان انما هي في صدور افعاله الانسانية عنه
في بحسب تمييزه ورويته وان لهذه السعادة مراتب كثيرة بحسب الروية والمروي فيه لذلك قيل افضل الروية ما كان
افضل مروي فيه ومنه ينزل متفرقة الى ان ينتهي الى النظر في الامور الممكنة من العالم الحسي فيكون الناظر في هذه
الاشياء قد استعمل رويته والمعنى الخاصة به التي من اجلها صار سعيداً لسرها الملك الابدي والنعيم السرمدي في جنة
دونه لا وجود لها بالحقيقة فقد تبين اذن اجناس السعادة بالجملة وضدها وهو من الشقاوات واجناسها وان الخيرات
والشرور في الافعال الارادية هي اما باختيار الافضل والعمل به واما باختيار الادون والميل اليه ولما كانت
هذه الخيرات الانسانية كثيرة وملكاتها التي في النفس كثيرة لم يكن في طاقة الانسان الواحد القيام بجميعها وجب ان

يتم ... [illegible] ... الناس ... [illegible]
تحصيل ... [illegible]
[illegible]
في كتاب ... [illegible]
فيكون اذن كل واحد منهم ... [illegible]
انما تنقسم الى ثلاثة اقسام وهي القوة التي بها يكون الفكر والتمييز والنظر في حقائق الامور والقوة التي بها يكون الغضب
والنجدة والاقدام على الاهوال والشوق الى التسلط والترفع وضروب الكرامات والقوة التي بها تكون الشهوة وطلب
والشوق الى اللذات في المآكل والمشارب والمناكح وضروب اللذات الحسية وهذه الثلاث متباينة ويعلم ذلك من ان
بعضها اذا قوي اضر بالآخر وربما ابطل احدها فعل الآخر وربما صارت لنا انفس عدة في نفس واحدة ... والنظر
في ذلك ليس يليق بهذا الموضع ... [illegible] ... متباينة ... احدها ... بحسب
المزاج والعادة والتأديب فالقوة الناطقة هي التي تسمى الملكية وآلتها التي تستعملها من البدن الدماغ و
القوة الشهوية هي التي تسمى البهيمية وآلتها التي تستعملها من البدن الكبد والقوة الغضبية التي تسمى السبعية
وآلتها التي تستعملها من البدن القلب فلذلك وجب ان يكون عدد الفضائل بحسب اعداد هذه القوى وكذلك اضدادها التي هي الرذائل
فمتى كانت حركة النفس الناطقة معتدلة غير خارجة عن ذاتها وكان شوقها الى المعارف الصحيحة لا المظنونة
معارف وهي بالحقيقة جهالات حدثت عنها فضيلة العلم وتتبعها الحكمة ومتى كانت حركة النفس البهيمية معتدلة
منقادة للنفس العاقلة غير متأبية عليها فيما تقسطه لها ولا منهمكة في اتباع هواها حدثت عنها فضيلة العفة وتتبعها
فضيلة السخاء ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تطيع النفس العاقلة فيما تقسطه لها فلا تهيج في غير حينها
ولا تحمى اكثر مما ينبغي لها حدثت عنها فضيلة الحلم وتتبعها الشجاعة ثم يحدث عن هذه الفضائل الثلاث بنسبة
بعضها الى بعض فضيلة هي كمالها وتمامها وهي فضيلة العدالة ولذلك اجمع الحكماء على ان اجناس الفضائل اربع
وهي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة ولهذا لا يفتخر احد ولا يتباهى الا بهذه الفضائل ... [illegible]
واسلافه ... [illegible]

سمي صاحبها بها ومدح عليها واذا اقتصر بها على نفسه لم يسم بها بل غيرت هذه الاسماء اما الجود اذا لم يتعد سمي
صاحبها منفاقا واما الشجاعة فان صاحبها يسمى انفا واما العلم فان صاحبه يسمى مستبصرا ثم تصير
الجود والشجاعة اذا عم غيره بفضيلته تعدتا به باحدهما والحشم وهيبة بالاخرة وذلك في الدنيا فقط لانهما
فضيلتان حيوانيتان فاما العلم فان صاحبه اذا تعداه الى غيره احتشم في الدنيا والاخرة لانه فضيلة النفس الملكية
واضداد هذه الفضايل الاربع الرذايل ايضا اربع وهي الجهل والشره والجبن والجور وتحت كل واحد من
هذه الاجناس انواع كثيرة سنذكر منها ما يمكن ذكره فاما امراض الانواع فهي بلا نهاية وهي امراض نفسانية
تحدث عنها الام كثيرة كالخوف والحزن والغضب وانواع العشق الشهواني وضروب من سوء الخلق سنذكر علاجها فيما
بعد ان شاء الله والذي يجب علينا الان تحديد هذه الاشياء اعني الاجناس الاربعة التي تحتوي على جمل الفضايل
فنقول اما الحكمة فهي فضيلة النفس الناطقة المميزة وهي ان تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة و
ان شئت فقل ان تعلم الامور الالهية والامور الانسانية وتثمر علمها بذلك ان تعرف المعقولات ايها يجب ان تفعل وايها
يجب ان لا تفعل واما العفة فهي فضيلة الحس الشهواني وظهور هذه الفضيلة في الانسان يكون بان يصرف شهواته بحسب
الراي اعني ان يوافق التمييز الصحيح حتى لا ينقاد لها ويصير بذلك حرا غير متعبد لشيء من شهواته واما الشجاعة
فهي فضيلة النفس الغضبية وتظهر في الانسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة واستعمال ما يوجبه الراي
في الامور الهايلة اعني ان لا يخاف من الامور المفزعة اذا كان فعلها جميلا والصبر عليها محمودا واما
العدالة فهي فضيلة للنفس يحدث لها من اجتماع هذه الفضايل الثلث التي عددناها وذلك
عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لا يتغالب ولا يتحرك نحو مطلوباتها
على سوم طباعها ويحدث للانسان بها سمة يختار بها ابدا الانصاف من نفسه على نفسه اولا ثم الانصاف
والانتصاف من غيره وسنتكلم على كل واحد من هذه الفضايل بكلام اوسع من هذا اذا ذكرنا الفضايل
التي تحت كل جنس من هذه الاربع اذ كان غرضنا في هذا الموضع الاشارة اليها بالرسوم التي تجري
ليتصور بها التعلم والذي ينبغي ان يتبع ما قدمناه ذكر انواع هذه الاجناس وما تحت
كل واحد منها اما الاقسام التي تحت الحكمة فهي هذه الذكاء والذكر والتعقل وسرعة الفهم

قوته صفاء الذهن سهولة التعلم وبهذه الاشياء يكون حسن الاستعداد للحكمة **فاما** الوقوف على جواهر هذه الاقسام
فيكون من حدودها وذلك ان العلم بالحد وحده يفهم جواهر الاشياء المطلوبة الموجودة دائما على حالة واحدة وهو العلم
البرهاني الذي لا يتغير ولا يدخله الشك بوجه من الوجوه والفضايل التي بذواتها فضايل ليس يكون في حال من
الاحوال غير فضايل وكذلك العلوم بها **اما** الذكا فهو سرعة انقداح النتايج وسهولتها على النفس **واما** الذكر فهو ثبات
صورة ما يخلصه العقل والوهم من الامور **واما** التعقل فهو موافقة بحث النفس عن الاشياء الموضوعة بقدر ما هي عليه
واما صفاء الذهن فهو استعداد النفس لاستخراج المطلوب **واما** جودة الذهن وقوته فهو تامل النفس لما قد لزم من
المقدم **واما** سهولة التعلم فهي قوة للنفس وحدة للفهم بها تدرك الامور النظرية **الفضايل** التي تحت العفة
الحياء الدعة الصبر السخاء الحرية القناعة الديانة الانتظام حسن الهدي المسالمة الوقار الورع **اما** الحياء فهو انحصار النفس
خوف اتيان القبايح والحذر من الذم والسب الصادق **واما** الدعة فهو سكون النفس عند حركة الشهوة **واما** الصبر
فهو مقاومة النفس للهوى لئلا تنقاد لقبايح اللذات **واما** السخاء فهو التوسط في الاعطاء والاخذ وهو ان ينفق
الاموال فيما ينبغي بمقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي وتحت السخاء خاصة انواع كثيرة نحن نحصيها في ما بعد
لكثرة الحاجة اليها **واما** الحرية فهي فضيلة للنفس بها تكتسب المال من وجهه وتعطي في وجهه وتمتنع اكتساب المال
من غير وجهه **واما القناعة** فهي التساهل في الماكل والمشارب والزينة **واما** الديانة فهو حسن انقياد
النفس لما يجمل وتسرعها الى الجميل **واما** الانتظام فهي حال للنفس يقودها الى حسن تقدير الامور وترتيبها كما ينبغي
واما حسن الهدي فهو محبة تكميل النفس بالزينة الحسنة **واما** المسالمة فهي موادعة تحصل للنفس عن ملكة لا اضطراب
فيها **واما** الوقار فهو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب **واما** الورع فهو لزوم الاعمال الجميلة
التي فيها كمال النفس **الفضايل** التي تحت الشجاعة كبر النفس النجدة عظم الهمة الثبات الصبر الحلم عدم الطيش الشهامة
احتمال الكد الفرق بين هذا الصبر وبين الذي في العفة ان هذا يكون في الامور الهائلة وذاك يكون في الشهوات الهايجة
اما كبر النفس فهو الاستهانة باليسار والاقتدار على حمل الكرامة والهوان فصاحبه ابدا يؤهل نفسه للامور
العظام مع استحقاقه لها **واما** النجدة فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع **واما** عظم الهمة فهو فضيلة
للنفس تحتمل بها سعادة الجد وضدها حتى الشدايد التي تكون عند الموت **واما** الثبات والصبر فهو فضيلة

ن يقوى بها احتمال الالام ومقاومتها فى الاحوال الخاصة **واما الحلم** فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة
لون شغبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة **واما السكون** الذى نعنى به عدم الطيش فهو اما عند الخصومات
او فى الحروب التى تذب بها عن الحريم او عن الشريعة وهو قوة للنفس تقسر حركتها فى هذه الاحوال لشدتها **واما الشهامة**
الحرص على الاعمال العظام ترقبا للاحدوثة الجميلة **واما احتمال الكد** فهو قوة للنفس تستعمل الات البدن فى
الامور الحسنة بالتمرين وحسن العادة **الفضايل التى تحت السخاء** الكرم الايثار النبل المواساة السماحة
المسامحة **اما الكرم** فهو انفاق المال الكثير بسهولة من النفس فى الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغى وباقى الشروط
التى ذكرناها فى السخاء **واما الايثار** فهو فضيلة للنفس بها يكف الانسان عن بعض حاجاته التى تخصه حتى يبذله
لمستحقه **واما النبل** فهو سرور النفس بالافعال العظام وابتهاجها بلزوم هذه السيرة **واما المواساة** فهى
معاونة الاصدقاء والمستحقين ومشاركتهم فى الاموال والاقوات **واما السماحة** فهى بذل بعض ما لا يجب
واما المسامحة فهى ترك بعض ما يجب والجميع يكون بالارادة والاختيار **الفضايل التى تحت العدالة**
الصداقة الالفة صلة الرحم المكافاة حسن الشركة حسن القضاء التودد العبادة **اما الصداقة** فهى محبة صادقة يهتم
معها بجميع اسباب الصديق وايثار فعل الخيرات التى يمكن فعلها به **واما الالفة** فهى اتفاق الاراء وتحدث
من التواصل فيعتقد معها التضافر على تدبير العيش **واما صلة الرحم** فهى مشاركة ذوى اللحمة فى الخيرات التى تكون فى
الدنيا **واما المكافاة** فهى مقابلة الاحسان بمثله او بزيادة عليه **واما حسن الشركة** فهو الاخذ والعطاء فى
المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع **واما حسن القضاء** فهى مجازاة بلا من ولا ندم **واما**
التودد فهو طلب مودات الاكفاء واهل الفضل بحسن اللقاء والاعمال التى تستدعى المحبة منهم **واما**
العبادة فهى تعظيم الله عز وجل وتمجيده وطاعته واكرام اوليائه من الملائكة والانبياء والائمة والعمل بما توجبه
الشريعة وتقوى الله عز وجل تكمل هذه الاشياء وتتمها **واذ قد اقتصصنا الفضايل الاولى واقسامها وذكرنا**
فروعها واجزاءها فقد عرفت الرذايل التى تضاد الفضايل لانه يفهم من كل واحدة من تلك
ضدها ما يقابلها لان العلم بالاضداد واحد ولما كانت هذه الفضايل اوساطا بين الطرفين وتلك
الاطراف هى الرذايل وجب ان يفهم منها وان اتسع لنا الزمان ذكرناها الان وجود اسمائها فى هذا

الوقت متعدلاً . وينبغي ان يفهم من قولنا ان كل فضيلة فهي وسط بين رذايل ما انا واصفه ان الارض لما كانت على غاية البعد من السماء قيل انها وسط وبالجملة المركز من الدائرة هو على غاية البعد من المحيط واذا كان الشئ على غاية البعد من شئ آخر فهو من هذه الجهة على القطر فعلى هذا الوجه ينبغي ان يفهم معنى الوسط من الفضيلة اذ كانت بين رذايل بعدها منها اقصى البعد ولهذا اذا انحرفت الفضيلة عن موضعها الخاص بها ادنى انحراف قربت من رذيلة ولم تسلم من العيب بحسب قربها من تلك الرذيلة التي تميل اليها ولهذا صعب جداً وجود هذا الوسط ثم التمسك به بعد وجوده اصعب ولذلك قالت الحكماء اصابة نقطة الهدف اعسر من العدول عنها ولزوم الصواب بعد ذلك حتى لا يخطيها اعسر واصعب وذلك ان الاطراف التي تسمى رذايل من الافعال والاحوال والزمان وساير الجهات كثيرة جداً ولذلك دواعي الشر اكثر من دواعي الخير ويجب ان يطلب اوساط تلك الاطراف بحسب انسان انسان فاما ما يجب علينا نحن فهو ان نذكر جمل الاوساط وقوانينها بحسب ما يليق بالصناعة لا على انها على شخص شخص فان هذا غير ممكن فان النجار والبناء والصايغ وساير ارباب الصناعات انما يحصل في نفوسهم قوانين واصول فيعرف النجار صنعة الباب والسرير والصايغ يعرف صنعة الخاتم والتاج على الاطلاق فاما اشخاص ما قام في نفسه فانما يستخرجها بتلك القوانين ولا يمكنه تعرف الاشخاص لانها بلا نهاية وذلك ان كل باب وخاتم انما يعمل بمقدار ما ينبغي وعلى قدر الحاجة وبحسب المادة والصناعة لا تتضمن الا معرفة الاصول فقط **واذ** قد ذكرنا معنى الوسط في الاخلاق وما ينبغي ان يفهم منه فلنذكر هذه الاوساط ليفهم منها الاطراف التي هي رذايل **فنقول** وبالله التوفيق **واما** الحكمة فهي وسط بين السفه والبله واعني بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي وسماه القوم الجربزة واعني بالبله تعطيل هذه القوة واطراحها وليس ينبغي ان يفهم بالبله ههنا نقصان الخلقة بل ما ذكرته من تعطيل القوة الفكرية بالارادة **واما** الذكاء فهو وسط بين الخب والبلادة فان احد الطرفين في كل وسط فهو افراط والآخر تفريط اعني الزيادة عليه والنقصان منه فالخب والدهاء والحيل الردية هي كلها الى جانب الزيادة مما ينبغي ان يكون الذكاء فيه **واما** البلادة والبله والعجز عن ادراك المعارف فهي كلها الى جانب النقصان من الذكاء **واما** الذكر فهو وسط بين النسيان الذي يكون باهمال ما ينبغي ان يحفظ وبين

بين العناية بما لا ينبغي ان يحفظ **واما التعقل** فهو حسن التصور فهو وسط بين الذهاب بالنظر في الشيء اخرج الى اكثر مما هو عليه وبين التقصير بالنظر عما هو عليه **واما سرعة الفهم** فهو وسط بين اختطاف خيال الشيء من غير احكام لفهمه وبين الابطاء عن حقيقته **واما صفاء الذهن** فهو وسط بين كدورة في النفس تؤخرها عن استخراج المطلوب وبين التهاب يعرض فيها فيمنعها من استخراج المطلوب **واما جودة الذهن وقوته** فهو وسط بين الافراط في التامل لما لزم من المقدم حتى يخرج عنه الى غيره وبين التفريط فيه حتى تقصر عنه **واما سهولة التعلم** فهي وسط بين المبادرة اليه بسلاسة لا يثبت معه صورة العلم وبين التصعب عليه وتعذره **واما العفة** فهو وسط بين رذيلتين هما الشره وخمود الشهوة واعني بالشره الانهماك في اللذات والخروج عنها عما ينبغي واعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة التي يحتاج اليها البدن في ضروراته وهي ما رخص فيه الشريعة والعقل **واما الفضائل التي تحت العفة** فان الحياء وسط بين رذيلتين احداهما الوقاحة والاخرى الخرق ونبهت على ان تلحظ اطراف الفضائل الاخر التي هي رذائل وربما وجد لها اسماء بحسب اللغة وربما لم نجد لها اسماء وليس يعسر عليك فهم معانيها والسلوك فيها على السبيل التي سلكناها **واما الشجاعة** فهي وسط بين رذيلتين احداهما الجبن والاخرى التهور اما الجبن فهو الخوف مما لا ينبغي ان يخاف منه واما التهور فهو الاقدام على ما لا ينبغي ان يقدم عليه **اما السخاء** فهو وسط بين رذيلتين احداهما السرف والتبذير والاخرى البخل والتقتير اما التبذير فهو بذل ما لا ينبغي لمن لا يستحق واما التقتير فهو منع ما ينبغي عمن يستحق **واما العدالة** فهي وسط بين الظلم والانظلام اما الظلم فهو التوصل الى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي وكما لا ينبغي واما الانظلام فهو الاستخذاء والاستخانة في المقتنيات لمن لا ينبغي وكما لا ينبغي ولذلك يكون ابدا للجائر اموال كثيرة لانه يتوصل اليها من حيث لا يجب ووجوه التوصل اليها كثيرة واما المنظلم فمقتنياته وامواله يسيرة جدا لانه يتركها من حيث يجب واما العادل فهو وسط بينهما لانه يقتني الاموال من حيث يجب ويتركها من حيث لا يجب فالعدالة فضيلة ينصف بها الانسان من نفسه ومن غيره من غير ان يعطي نفسه من النافع اكثر وغيره اقل فاما في الضار فبالعكس وهو ان لا يعطي نفسه اقل وغيره اكثر لكن يستعمل المساواة التي هي تناسب ما بين الاشياء

ومن هذا المعنى اشتق اسمه اعنى العدل واما الجائر فهو ان يطلب لنفسه الزيادة من النافع ولغيره النقصان منه واما فى الاشياء الضارة فهو يطلب لنفسه النقصان ولغيره الزيادة منها فقد ذكرنا الاخلاق التى هى خيرات وفضائل والاطراف التى هى شرور ورذائل على طريق الاجمال وعددنا ما يضادها وعرفنا ما يليها وسنشرح كل واحد منها على سبيل الاستقصاء فيما بعد ان شاء الله وينبغى ان نحض فى هذا الموضع شيئا يليق بطالب هذه الفضائل **فنقول** انا قد بينا فيما تقدم ان الانسان من بين جميع الحيوان لا يكتفى بنفسه فى تكميل ذاته ولا بد له من معاونة قوم كثيرى العدد حتى يتم حياته طيبة ويجرى امره على السداد ولهذا قال الحكماء ان الانسان مدنى بالطبع اى هو محتاج الى مدينة فيها خلق كثير لتتم له السعادة الانسانية فكل انسان بالطبع وبالضرورة يحتاج الى غيره فهو لذلك مضطر الى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ومحبتهم المحبة الصادقة لانهم يكملون ذاته ويتممون انسانيته وهو ايضا يفعل بهم مثل ذلك فاذا كان كذلك بالطبع وبالضرورة فكيف يؤثر الانسان العاقل العارف بنفسه التفرد والتخلى ويتعاطى ما يرى الفضيلة من غيره فاذن القوم الذين رأوا الفضيلة فى الزهد وترك مخالطة الناس وتفردوا عنهم اما بملازمة المغارات فى الجبال واما ببناء الصوامع فى المفاوز واما بالسياحة فى البلدان لا يحصل لهم شئ من الفضائل الانسانية التى عددناها وذلك ان من لم يخالط الناس ويساكنهم فى المدن لا يظهر فيهم العفة ولا النجدة ولا السخاء ولا العدالة بل تصير قواهم وملكاتهم التى ركبت فيهم باطلة لانها لا تتوجه لا الى خير ولا الى شر فاذا بطلت ولم يظهر افعالها الخاصة بها صاروا بمنزلة الجمادات والموتى من الناس ولذلك يظنون ويظن بهم انهم اعفاء وليسوا باعفاء وانهم عدول وليسوا بعدول وكذلك فى سائر الفضائل اعنى انه اذا لم يظهر منهم اضداد هذه التى هى شرور ظن بهم الناس انهم افاضل وليست الفضائل اعداما بل هى افعال واعمال يظهر عند مشاركة الناس ومساكنتهم وفى المعاملات وضروب الاجتماعات ونحن انما نعلم ونتعلم الفضائل الانسانية التى نساكن بها الناس ونخالطهم لنصل منها وبها الى سعادات اخر اذا صرنا الى حال اخرى وتلك الحال غير موجودة لنا الآن تمت

المقالة الاولى من كتاب تهذيب الاخلاق

الخلق حال للنفس داعية لها الى افعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال تنقسم الى قسمين منها ما يكون طبيعيا من اصل المزاج كالانسان الذى يحركه ادنى شئ نحو الغضب ويهيج من اقل سبب وكالانسان الذى يجبن من ايسر شئ وكالذى يفزع من صوت

صوت يطرق سمعه او يرتاع من خبر يسمعه وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من ادنى شيء يعجبه وكالذي يغتم ويحزن من
ايسر شيء يناله ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب وربما كان مبداه بالروية والفكر ثم يستمر عليه اولا فاولا
حتى يصير ملكة وخلقا ولهذا اختلف القدماء في الخلق فقال بعضهم الخلق خاص بالنفس غير الناطقة وقال بعضهم
قد يكون للنفس الناطقة فيه حظ ثم اختلف الناس اختلافا ثانيا فقال بعضهم من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه و
قال آخرون ليس شيء من الاخلاق طبيعيا للانسان ولا غير طبيعي وذلك انا مطبوعون على قبول الخلق وانما ننتقل
بالتاديب والوعظ اما سريعا واما بطيئا وهذا الرأي الاخير هو الذي نختاره لانا نشاهده عيانا ولان الرأي
الاول يؤدي الى ابطال قوة التمييز والعقل والى رفض السياسات كلها وترك الناس همجا مهملين والى ترك الاحداث والصبيان
على ما يتفق ان يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة جدا واما الرواقيون فظنوا ان الناس كلهم يخلقون
اخيارا بالطبع ثم يصيرون بعد اشرارا بمجالسة اهل الشر وبالميل الى الشهوات الردية التي لا تقمع بالتاديب فينهمكون
فيها ثم يتوصلون اليها من كل جهة ولا يفكرون في الحسن منها والقبيح واما قوم آخرون كانوا قبل هؤلاء فظنوا ان الناس خلقوا
من الطينة السفلى وهي كدر العالم فهم لاجل ذلك اشرار بالطبع وانما يصيرون اخيارا بالتاديب والتعليم الا ان
فيهم من هو في غاية الشر لا يمكن ان ينتقل من الشر الى الخير بالتاديب من الصبى ثم مجالسة الاخيار واهل الفضل فاما
جالينوس فانه رأى ان الناس فيهم من هو خير بالطبع وفيهم من هو شرير بالطبع وفيهم من هو متوسط بين هذين ثم افسد
المذهبين الاولين الذين ذكرناهما اما الاول فبان قال ان الناس اخيار بالطبع وانما ينتقلون الى الشر بالتعليم فمن الضرورة
ان يكون تعلمهم الشر اما من انفسهم واما من غيرهم فان تعلموا من غيرهم فان المعلمين الذين علموهم الشر هم اشرار بالطبع
فليس الناس اذن كلهم اخيارا بالطبع وان كانوا تعلموا من انفسهم فاما ان يكون فيهم قوة يشتاقون بها الى الشر فقط فهم اذن اشرار
بالطبع واما ان يكون فيهم مع هذه القوة التي تشتاق الى الشر قوة اخرى تشتاق الى الخير الا ان القوة التي تشتاق الى الشر غالبة قاهرة
من التي تشتاق الى الخير وعلى هذا يكونون ايضا اشرارا بالطبع واما الرأي الثاني فانه افسده بمثل هذه الحجة وذلك انه قال
ان كان كل الناس اشرارا بالطبع فاما ان يكونوا تعلموا الخير من غيرهم او من انفسهم ويعيد الكلام الاول بعينه ولما افسد هذين
المذهبين صحح رأيه من الامور البينة الظاهرة وذلك انه ظاهر جدا ان الناس منهم خير بالطبع وهم قليلون وليس
ينتقل هؤلاء الى الشر ومنهم من هو شرير بالطبع وهم كثيرون وليس ينتقل هؤلاء الى الخير ومنهم من هو متوسط

بين هذه وهؤلاء فقد ينتقلون بصحابة الأخيار ومواعظهم إلى الخير وقد ينتقلون بمفارقة أهل الشر و
إغوائهم إلى الشر وأما أرسطاطاليس فقد بين في كتاب الأخلاق وفي كتاب المقولات أيضا أن الشرير قد ينتقل
بالتأديب إلى الخير ولكن ليس على الإطلاق لأنه يرى أن تكرير المواعظ والتأديب وأخذ الناس بالسياسة الجيدة الفاضلة
لا بد أن يؤثر ضروب الأثر في ضروب الناس فمنهم من يقبل التأديب ويتحرك إلى الفضيلة بسرعة ومنهم
من يقبله ويتحرك إلى الفضيلة بإبطاء ونحن نؤلف من ذلك قياسا وهو هذا كل خلق فقد يمكن تغييره ولا شيء
مما يمكن تغييره هو بالطبع فإذا ولا خلق واحد بالطبع والمقدمتان صحيحتان والقياس منتج في الضرب الثاني من الشكل
الأول أما تصحيح المقدمة الأولى وهي أن كل خلق يمكن تغييره فقد تكلمنا عليه وأوضحناه وبيناه وهو بين من العيان ومما
استدللنا به من وجوب التأديب ونفعه وتأثيره في الأحداث والصبيان ومن الشرائع الصادقة التي هي سياسة الله
عز وجل لخلقه وأما تصحيح المقدمة الثانية وهي أنه ولا شيء مما يمكن تغييره هو بالطبع فهو ظاهر أيضا وذلك أنا لا نروم
تغيير شيء مما هو بالطبع أبدا فإن أحدا لا يروم أن يغير حركة النار التي إلى فوق بأن يعودها الحركة إلى أسفل ولا
يعود الحجر حركة العلو يروم بذلك أن يغير حركته الطبيعية التي هي إلى أسفل ولو رامه ما صح له أبدا تغيير شيء من هذه ولا
ما يجري مجراها أعني الأمور التي هي بالطبع فقد صحت المقدمتان وصح التأليف في الشكل الأول وهو الضرب الثاني
منه وصار برهانا **فأما** مراتب الناس في قبول هذا الأدب الذي سميناه خلقا والمسارعة إلى تعلمه والحرص عليه فإنها
كثيرة وهي تشاهد وتعاين فيهم وخاصة في الأطفال فإن أخلاقهم تظهر فيهم منذ مبدأ نشوئهم ولا يسترونها بروية
ولا فكر كما يفعله الرجل التام الذي انتهى في نشوئه وكماله إلى حيث يعرف من نفسه ما يستقبح فيخفيه بضروب من الحيل
والأفعال المضادة لما في طبعه وأنت تتأمل من أخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الأدب أو نفورهم عنه وما يظهر في
بعضهم من القحة وفي بعضهم من الحياء وكذلك ما ترى فيهم من الجود والبخل والرحمة والقسوة والحسد وضده ومن
الأحوال المتفاوتة ما تعرف به مراتب الإنسان في قبول الأخلاق الفاضلة وتعلم معه أنهم ليسوا على رتبة واحدة
وأن فيهم المواتي والممتنع والسهل السلس والفظ العسر والخير والشرير والمتوسطين بين هذه الأطراف في مراتب لا تحصى كثرة
وإذا أهملت الطباع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشأ كل إنسان على سوم طباعه وبقي عمره كله على الحال
التي كان عليها في الطفولية وتبع ما وافقه بالطبع إما الغضب وإما اللذة وإما الدعارة وإما الشره وإما غير ذلك

ذلك من الطباع المذمومة والشريعة هي التي تقوم الاحداث وتعودهم الافعال المرضية وتعد نفوسهم لقبول الحكمة
وطلب الفضايل والبلوغ الى السعادة الانسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم وعلى الوالدين اخذهم بها وبسائر
الاداب الجميلة بضروب السياسات من الضرب ان احوج اليه والتوبيخات ان قنعت فيهم او الاطماع في الكرامات
او غيرها مما يميلون اليه من الراحات او يحذرونه من العقوبات حتى اذا تعودوا ذلك واستمروا عليه مدة
من الزمان كثيرة طويلة امكن فيهم حينئذ ان يعلموا براهين ما اخذوه تقليدا وينبهوا على طرق الفضائل
واكتسابها والبلوغ الى غاياتها بهذه الصناعة التي نحن بسبيلها والله الموفق والمعين وهو حسبنا ولنا
في ترتيب هذه الاداب وسياقتها اولا اولا الى الكمال الاخير طريق طبيعي نتشبه فيها بفعل الطبيعة وهو ان ننظر
الى هذه القوى التي تحدث فينا ايها اسبق الينا وجودا فنبدا بتقويمها ثم بما يليها على النظام الطبيعي وهو بين ظاهر
ذلك انا اول ما يحدث فينا ما هو الشيء العام للحيوان والنبات كله ثم لا يزال يختص بشيء يسير يتميز به عن نوع نوع
الى ان يصير الى الانسانية فلذلك يجب ان نبدا بالشوق الذي يحصل فينا للغذاء فنقومه ثم بالشوق الذي يحصل فينا
الى الغضب ومحبة الكرامة فنقومه ثم باخره الشوق الذي فينا الى المعارف والعلوم فنقومه وهذا الترتيب الذي قلنا
انه طبيعي انما حكمنا فيه بذلك لان هذا يظهر فينا منذ اول نشونا اعني انا نكون اولا اجنة ثم اطفالا ثم ناسا كاملين
تحدث فينا هذه القوى مرتبة فاما ان هذه الصناعة هي افضل الصناعات كلها اعني صناعة الاخلاق التي تعنى
بتجويد افعال الانسان بما هو انسان فتبين مما اقول لما كان للجوهر الانساني فعل خاص لا يشاركه فيه شيء من موجودات
العالم كما بيناه فيما تقدم وكان الانسان اشرف موجودات عالمنا ثم لم يصدر افعاله عنه بحسب جوهره وشبيها
بالفرس الذي لم تصدر عنه افعال الفرس على التمام استعمل مكان الحمار بالاكاف او مكان العنز بالذبح وكان عدما
اروح له من وجوده وجب ان يكون الصناعة التي تعنى بتجويد افعال الانسان حتى تصدر عنه افعاله كلها تامة كاملة بحسب
جوهره وترفعه عن رتبة الاخس التي يستحق بها المقت من الله عز وجل والمصير الى العذاب الاليم اشرف الصناعات
واكرمها واما سائر الصناعات الاخر فان مراتبها من الشرف بحسب مراتب جوهر الشيء الذي يستصلحه وهذا ظاهر بين في
الصناعات لان فيها الدباغة التي تعنى باستصلاح جلود البهائم الميتة وفيها صناعة الطب التي تعنى باستصلاح جواهر
الكريمة وهكذا انها متفاوتة التي تتوجه بعضها الى العلوم الدينية وبعضها الى العلوم الشريفة واذا كانت

الموجودات متفاوتة فى الشرف من الجماد والنبات والحيوان ثم ان الحيوان تحكم المبدان والحشرات اذا اقيس الى جوهر
الانسان واما فى الجواهر الموجودات الا شرفها فلمن اراد ان يحسبها فالصناعة والمهنة التى يصرف اليها اشرفها اشرف
من الصناعات والمهن التى تصرف الى الادون منها بحسب ان نعلم ان اسم الانسان وان كان يقع على افضلهم وعلى
ادونهم فان بين هذين الطرفين اكثر مما بين كل متضادين من البعد وان الشاعر الذى قال * ولم ار امثال
الرجال تفاوتت * الى المجد حتى عد الف بواحد * وان كان عنده قد بالغ فانه قصر والخبر المروى عن النبى صلى الله
عليه واله وسلم انى وزنت بامتى فرجحت بهم اصدق واوضح وليس هذا فى الانسان وحده بل فى كثير من الجواهر كما
وان كان فى الانسان اكثر واشد تفاوتا فان بين السيف المعروف بالصمصام وبين السيف المعروف بالكهام
تفاوتا عظيما وكذلك الحال فى التفاوت الذى بين الفرس الكريم وبين البرذون المقرف فمن امكنه
ان يرقى بالصناعة من ادون هذه الجواهر مرتبة الى اعلاها فاشرف به وبصناعته ما اكرمها واكرمها هو الانسان
من بين هذه الجواهر فهو مستعد لضروب من الاستعدادات بضروب من المقامات فليس ينبغى ان يكون الطمع فى
استصلاحه على مرتبة واحدة وهذا شئ يتبين فيما بعد ان شاء الله الا ان الذى ينبغى ان نعلمه الان ان وجود الجوهر
الانسانى متعلق بقدرة فاعله وخالقه تبارك وتقدس ذكره فاما تجويد جوهره فمفوض الى الانسان وهو معلق
بارادته فاعرف هذه الجملة الى ان نلخص فى موضعها ان شاء الله تعالى **وقد** تقدمنا فى صدر هذا الكتاب فقلنا انه ينبغى
ان نعرف نفوسنا ما هى ولاى شئ هى ثم قلنا ان لكل جوهر وجود كمالا خاصا به وفعلا لا يشاركه فيه غيره من حيث
هو ذلك الشئ وبينا ذلك غاية البيان فى الرسالة المسعدة **واذا** كان ذلك محفوظا فنحن مضطرون الى ان
نعرف الكمال بالانسان والفعل الذى لا يشاركه فيه غيره من حيث هو انسان لنحرص على طلبه وتحصيله ونجتهد
فى البلوغ الى غايته ونهايته ولما كان الانسان مركبا لم يجز ان يكون كماله وفعله الخاص كمال بسائطه وافعال بسائطه
بها والا كان وجود المركب باطلا كالحال فى الحمار والسرير فاذا الفعل الخاص من حيث هو مركب انسان لا يشاركه فيه
شئ من الموجودات الاخر فافضل الناس اقدرهم على اظهار فعله الخاص به واملكهم من غير ان يتفاوت فيه ولا اخلال به فى وقت
دون وقت فاذا عرف الافضل فقد عرف الاخس على اعتبار الضد والكمال الخاص بالانسان كمالان وذلك لان له
قوتين احدهما العالمة والاخرى العاملة فلذلك يشتاق باحدى القوتين الى المعارف والعلوم ويشتاق بالاخرى

بالاخرى الى نظم الامور وترتيبها وهذان الكمالان هما اللذان نص عليهما الفلاسفة فقالوا الفلسفة تنقسم الى الجزء النظري
والى الجزء العملي فاذا كمل الانسان بالجزء النظري والجزء العملي فقد سعد السعادة التامة اما كماله الاول باحدى قوتيه اعني
العالمة وهي التي يشتاق بها الى العلم فهو ان يصير في العلم بحيث يصدق نظره وتصح بصيرته وتستقيم رويته ولا يغلط في
اعتقاد ولا يشك في حقيقته وينتهي في العلم بالامور الموجودة على الترتيب الى العلم الالهي الذي اخر مرتبة العلوم ويثق
ويسكن اليه ويطمئن قلبه وتذهب حيرته وينجلي له المطلوب الاخير حتى يتحد به وهذا الكمال قد بينا الطريق اليه واوضحناه
في كتب اخر واما الكمال الثاني الذي يكون بالقوة الاخرى اعني القوة العاملة فهو الذي نقصده في كتابنا هذا وهو الكمال
الخلقي ومبداه من ترتيب قواه وافعاله الخاصة بها حتى لا تتغالب وحتى تتسالم هذه القوى فيه وتصدر افعاله
بحسب قوته المميزة منتظما مرتبا كما ينبغي وينتهي الى التدبير المدني الذي يرتب فيه الافعال والقوى بين الناس
حتى ينتظم ذلك الانتظام ويسعدوا سعادة مشتركة كما كان ذلك في الشخص الواحد فاذن الكمال الاول
النظري منزلته منزلة الصورة والكمال الذي الثاني العملي منزلته منزلة المادة وليس يتم احدهما الا بالاخر لان
العلم مبدأ والعمل تمام والمبدأ بلا تمام يكون ضايعا والتمام بلا مبدا يكون مستحيلا وهذا الكمال هو الذي سميناه غرضا
وذلك ان الغرض والكمال بالذات هما شيء واحد وانما يختلفان بالاضافة فاذا نظر اليه وهو بعد في نفس الانسان
لم يخرج الى الفعل فهو غرض واذا خرج الى الفعل وتم فهو كمال وكذلك الحال في كل شيء لان البيت اذا كان متصورا
للباني وكان عالما باجزائه وتركيبه وسائر احواله كان غرضا فاذا خرج الى الفعل وتم كان كمالا فقد صح من جميع ما
قدمناه ان الانسان يصير الى كماله ويصدر عنه فعله الخاص اذا علم الموجودات كلها اي يعلم كلياتها وحدودها
التي هي ذواتها لا اعراضها وخواصها التي يصير بها بلا نهاية فانك اذا علمت كليات الموجودات فقد علمت جزئياتها
بنحو ما لان الجزئيات لا تخرج عن كلياتها فاذا اكملت هذا الكمال فتممه بالفعل المنظوم ورتب القوى والملكات التي
فيك ترتيبا علميا كما سبق علمك به فاذا انتهيت الى هذه الرتبة فقد صرت عالما وحدك واستحققت ان يسمى
عالما صغيرا لان صورة الموجودات كلها قد حصلت في ذاتك فصرت انت هي بنحو ما ونظمتها بافعالك على نحو نظامها
فصرت فيها خليفة لمولاك خالق الكل فلم تخط فيها ولم تخرج عن نظامه الاول الحكمي فتصير حينئذ عالما تاما والتام
من الموجودات هو الدائم الوجود والدائم الوجود هو الباقي بقاء سرمديا فلا يعوزك حينئذ شيء من النعيم المقيم

لانك بهذا الكمال مستعد لقبول الفيض من المولى دائما ابدا وقد قربت منه القرب الذي لا يحوج ان
يكون بينك وبينه حجاب فهذه هي الرتبة العليا والسعادة القصوى فلولا ان في اشخاص الناس من
يمكنه تحصيل هذه المنزلة في ذاته وتكميل صورته بها وانما نقصانه بالعرض لما كان سبيله الا سبيل اشخاص الحيوانات
الاخر وكسبيل اشخاص النبات في مصيرها الى الفناء بالاستحالات التي تلحقها والنقصانات التي لا سبيل الى تمامها
ولا سبيل له الى البقاء الابدي والنعيم السرمدي بمجاورة رب العالمين في دخول جنته ومن لا يتصور هذه الحالة ولا يستقر علمها من نفسه
وفي العلم تقع له شكوك فيظن ان الانسان اذا انتقض تركيبه الجسماني بطل وتلاشى كالحال في الحيوانات والنبات يستحق
اسم الملحد ويخرج عن سنن الحكمة وسنة الشريعة وقد ظن قوم ان كمال الانسان وغايته هي في اللذات الحسية وانها هي
الخير المطلوب والسعادة القصوى فظنوا ان جميع قواه الاخر انما ركبت فيه من اجل هذه اللذات والتوصل اليها وان النفس
الشريفة التي سميناها ناطقة انما وهبت له ليرتب بها الافعال ويميزها ثم توجهها نحو هذه اللذات ليكون الغاية الاخيرة هي
حصولها له على النهاية والغاية فظنوا ان قوى النفس الناطقة اعني الذكر والحفظ والروية كلها تراد لتلك الغاية
قالوا وذلك ان الانسان اذا تذكر اللذة التي كانت حصلت له بالمطاعم والمشارب والمناكح اشتاق اليها واحب معاودتها فقد صارت
منفعة الذكر والحفظ انما هي اللذة وتحصيلها ولاجل هذه الظنون التي وقعت لهم جعلوا النفس المميزة الشريفة كالعبد الممتهن و
كالاجير المستعمل في خدمة النفس الاخرى الشهوية ليخدمها في المآكل والمشارب والمناكح وترتيبها لها وتعديلها كانها خادمة لها موافقة
وهذا هو رأي الجمهور من الطغام والرعاع وجهال الناس والسقاط والى هذه الخيرات التي جعلوها غاياتهم يتشوقون عند ذكر الجنة والقرب
من ربهم عز وجل وهي التي يسألون بها الرتب من ربهم وتمانى دعواتهم وصلواتهم اذا اتصلوا بالعبادات وتركوا الدنيا وزهدوا فيها فانما ذلك
منهم على جهة المتاجرة والمرابحة وهذه بعينها كأنهم تركوا قليلها ليصلوا الى كثيرها واعرضوا عن الفانيات منها ليبلغوا
الباقيات الا انك تجدهم مع هذا الاعتقاد وهذه الافعال اذا ذكر عندهم الملائكة والخلق الاعلى الاشرف وما نزههم الله
عنه من هذه اللذات واعلموا بالجملة انهم اقرب الى الله عز وجل واعلى رتبة من الناس لانهم غير محتاجين الى شيء من حاجات
البشر يعلمون ان خالقهم وخالق كل شيء تعالى الله الذي تولى بدائع الكل هو منزه عن هذه الاشياء متعال عنها
موصوف بالقدرة والتمتع مع التمكن باختيارها لنفسه واذا لم يشاركنا في هذه اللذات الخنافس والديدان وصغار الحشرات
والهمج من الحيوان بان ما يناسب الملائكة بالعقل والتمييز ثم جمعوا بين هذه الاعتقادات والاعتقاد الاول [illegible]

ذلك انهم يرون عيانا ان تمرّ لهم بالاذى الذي يلحقهم بالجوع والعري وضروب المقاسات وعلاجها نعم لولا تمام
بما يدفعها عنهم فاذا زالت اثارها وعادوا الى حال السلامة منها التذوا بذلك ووجدوا الراحة لذة ولا
يشعرون انهم اذا اشتاقوا الى لذة الاكل فقد اشتاقوا اولا الى الم الجوع وذلك انهم ان لم يالموا بالجوع لم يلتذوا
بالاكل وهكذا الحال في سائر اللذات الاخر الا ان هذه الحال في بعضها اظهر منها في بعض وسنتكلم على ان ما تقدم الجميع
واحدة وان اللذات كلها انما يحصل للملتذ بعد الام تلحقه وان كل لذة حسية انما هي خلاص من الام
في غير هذا الموضع ومستظهر عنه ذلك ان من رضى لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته واقصى
سعادته فقد رضى باخس العبودية لاخس الموالي لانه تصير نفسه الكريمة التي يناسب بها الملائكة عبدا للنفس الدنية
التي يناسب بها الخنازير والخنافس وخسايس الحيوانات التي يشاركه في هذه الحال وقد تعجب جالينوس في كتابه الذي
في الاخلاق والنفس من هذا الرأي وكثر استجهاله القوم الذين هذه مرتبتهم من العقل الا انه قال ان هولاء الجنتلين
سيرتهم واسوأ سيرة وارديها اذا وجدوا انسانا هذا رأيه ومذهبه نصروه وتولوه ودعوا اليه هم وابلك انهم غير
متفردين بهذه الطريقة لانهم يظنون انهم متى وصفوا اهل الفضل والنبل من الناس بمثل ما هم عليه كان ذلك عذرا لهم
تمويها على قوم اخرين في مثل طريقتهم وهولاء هم الذين يفسدون الاحداث بما يوهمون ان الفضيلة هي ما يدعونهم اليه
البدن من الملاذ وان تلك الفضايل الاخر الملكية اما ان يكون باطلة ليست بشيء البتة واما ان يكون غير ممكنة
من الناس الا من يكون بالطبع الجسداني الى الشهوات فيكثر اتباعهم بقلة الفضلاء فيهم واذا نبه الواحد بعد الواحد
منهم على ان هذه اللذات انما هي لضرورة الجسد وان بدنه مركب من الطباع المتضادة اعني الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة وانه انما يعالج بالماكل والمشارب عوارض تحدث ابدا عند الانحلال فيحفظ تركيبه على حالة واحدة ما امكن
فيه وان علاج المرض ليس بسعادة تامة والراحة من الالم ليست بغاية مطلوبة ولا خير محض وان السعيد التام
هو من لا يعرض له مرض البتة وعرف مع ذلك ان الملائكة الابرار الذين اصطفاهم الله لقربه لا يلحقهم هذه
الالام فلا يحتاجون الى علاجها وانما بالاكل والشرب وان الله تعالى منزه متعال عن هذه الاوصاف عارضوه بان بعض
البشر اشرف من الملائكة وان الله اجل من ان يذكر مع الخلق وشاغبوه وسفهوا رأيه واوقعوا شبها باطلة حتى
يشك في صحة ما نبه عليه واشكل عقله اليه والعجب الذي لا ينقضي هو انهم مع رأيهم هذا اذا وجدوا واحدا من الناس

فتقتل طائفة منهم التي يميلون اليها واستهانت بالقبح والاذية وصاموا وطووا واقتصروا على نبات الارض غلظوا وكثر تعجبهم منه
لملوك المراتب العظيمة ويزعموا انه صفي الله ووليه وانه شبيه بالملك وانه ارفع طبقة من البشر ويخضعون له ويذلون
غاية الذل ويعدون انفسهم اشقياء بالاضافة اليه والسبب في ذلك هو انهم وان كانوا من اهل الرأي وصفاته على
ما هي فان فيهم من آثار القوة الاخرى الكريمة المميزة وان كانت ضعيفة ما يريهم فضيلة ذوي الفضائل فيضطرون
الى اكرامهم وتعظيمهم واذا كانت القوى ثلثا كما مثلنا فارذلها النفس البهيمية واوسطها النفس السبعية واشرفها
النفس الناطقة والانسان انما صار انسانا بافضل هذه النفوس اعني الناطقة وبها شارك الملائكة وبها باين البهائم
ثم اشرف الناس من كان حظه من هذه النفس اكثر وانصرافه اليها اتم واوفر ومن غلب عليه احدى النفسين الاخريين انحط عن
مرتبة الانسانية بحسب غلبة تلك النفس عليه فانظر اين تضع نفسك واين تحب ان تنزل من المنازل التي
رتبها الله للموجودات فان هذا امر موكول اليك مردود الى اختيارك فان شئت فانزل في منازل البهائم فانك تكون
فيهم وان شئت فانزل في منازل السباع وان شئت ففي منازل الملائكة وكن منهم وفي كل واحد من هذه المنازل
مقامات كثيرة فان بعض البهائم اشرف من بعض وذلك لقبول التأديب لان الفرس انما شرف على الحمار لقبول الادب
وكذلك البازي في فضله على الغراب واذا تأملت الحيوان كله وجدت القابل للتأديب الذي هو اثر النطق اعني النفس الناطقة
افضل من سائره وهو يتدرج في ذلك الى ان يصير الى الحيوان الذي هو في افق الانسان اعني الذي هو اكمل البهائم وهو في اخس مرتبة
الانسانية وذلك ان اخس الناس من كان قليل العقل قريبا من البهيمة وهم القوم الذين في اقاصي الارض المعمورة وسكان اخر
ناحية الجنوب والشمال لا ينفصلون عن القرود الا بشيء يسير من التمييز وبذلك القدر يستحقون اسم الانسانية ثم يتميزون
ويتزايدون في هذا المعنى حتى يبلغوا الى وسط الاقاليم والتبدل فيعتدل المزاج القابل لصورة العقل فيصير منهم العاقل الكامل
والمميز العالم ويتفاضلون ايضا في هذا المعنى الى ان يصيروا الى غاية ما يمكن للانسان ان يبلغ اليه من قوى القوة العقلية و
النطق فيصير حينئذ في الافق الذي بين الانسان والملك ويصير فيهم القابل للوحي والمطيق لحمل الحكمة فيفيض عليه
قواه العقل ويبيح اليه من الحق ولا محالة الانسان احسن من هذه ما دام انسانا فارجع القهقرى الى النظر في الامم
الناقصة التي هي ادون مراتب الانسانية فانك تجد القوم الذين يضعف فيهم القوة الناطقة وهم القوم الذين
ذكرنا انهم في افق البهائم يقوى فيهم النفس البهيمية فيميلون الى شهواتها الناخرة والجواس كالمأكول والمشروب والملبوس

وسایر الشهوات البهیمیة التی یشارکها فیها سائر الحیوانات هم الذین یجذبهم الشهوات القویة لقوة نفوسهم البهیمیة حین یرتکبونها
لا یرتدعون عنها و بقدر ما یکون فیهم من القوة العاقلة یستحیون منها حتی یستتروا بالبیوت ویتواروا فی الظلمات اذ هم بالبدیهة
یحسبون هذا الحیاء منها هو الدلیل علی قبحها فان الجمیل بالاطلاق هو الشیء الذی یتظاهر به ویستحب اظهاره واذاعته
وهذا القبیح لیس بشیء من النقصانات اللازمة للبشر وهم یشتاقون الی ازالتها فاخفها هو اقصها وانقصها احوجها الی
الستر والاخفاء ولو سئلت القوم الذین یعظمون امر اللذة ویجعلونها الخیر المطلوب والغایة الانسانیة لم تکتمون
الوصول الی اعظم الخیرات عندکم وما بالکم تعدون موافقتها خیرا ثم تستترون فیها وتروتعن سترها وکتمانها فضیلة
ومروءة وانسانیة والمجاهرة بها واظهارها بین اهل الفضل ومن فی مجامع الناس خساسة وقحة یظهرون انقطاعهم
وتبلدهم فی الجواب ما تعلموه سوی تلجلجهم وخبث سیرتهم واظلم حظهم من الانسانیة اذا رای الانسان فاضلا محتشما
ووقره ولحب ان یکون مثله الا انسان منهم الذی یبلغ من خساسة الطبع ورذالة الانسانیة وسماحة الوجه
الی ان یقیم علی نقصه و ما هو علیه من غیر محبة لرتبة من هو افضل منه فاذا یجب علی العاقل الی ان یعرف ما ابتلی به
الانسان من هذه النقصانات التی فی جسمه و حاجاته الضروریة الی ازالتها وتکمیلها اما بالغذاء الذی یحفظ اعتدال
مزاجه ویقوم حیاته فینال منه قدر الضرورة فی کماله ولا یطلب اللذة بعینها بل قوام الجسم التی تعقبها اللذة فان تجاوز
ذلک قلیلا فبقدر ما یحفظ رتبته فی مروته ولا ینسب الی الدناءة فی الجعل بحسب حاله ورتبته بین الناس واما باللباس الذی
یدفع اذی الحر والبرد ویستر العورة فان تجاوز ذلک فبقدر ما لا یستحقر ولا ینسب الی الشره علی نفسه والی ان یسقط بین
اقرانه واهل طبقته واما بالجماع الذی یحفظ نوعه و یبقی به صورته اعنی طلب النسل فان تجاوز ذلک فبقدر ما لا یخرج
به عن السنة ولا یتعدی ما یملکه الی ما یملک غیره ولیتسل الفضیلة فی نفسه العاقلة التی بها صار الانسان انسانا و ینظر
الی النقصانات التی فی هذه النفس خاصة فیروم تکمیلها بطاقته وجهده فان هذه الخیرات هی التی لا تسترد
اذا وصل الیها و لا یستنع منها بالحیاء ولا یتواری عنها بالحیطان والظلمات و یتظاهر بها ابدا بین الناس و فی المحافل
وهی التی یکون بها بعض الناس افضل من بعض و بعضهم اکثر انسانیة من بعض و تغتذی هذه النفس بذاتها الملوق
لها التتمیم لنقصاناتها کما یغتذی تلک باغذیتها الملائمة لها فان غذاء هذه هو العلم والزیادة فی المعقولات والارتیاض
بالصدق فی الاراء وقبول الحق حیث کان و مع من کان والنفور من الباطل والکذب کیف کان ومن این جاء

فمن اتفق له في الصبى ان يربى على الادب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق
حتى تتاكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان
ولا يسكن الا اليهما ثم يتدرج كما رسمناه في كتابنا المسمى بترتيب السعادات ومنازل العلوم حتى يبلغ الى اقصى
مرتبة الانسان فهو السعيد الكامل فليكثر حمد الله عز وجل على الموهبة العظيمة والمنة الجسيمة ومن بلي في صباه
في مبدء نشوه ثم ابتلي بان يربيه والداه على رواية الشعر الفاحش وقبول اكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح
ونيل اللذات كما يوجد في شعر امرء القيس والنابغة واشباههما ثم صار بعد ذلك الى رؤساء يقربونه على روايتها وقول
مثلها ويجزلون له العطية واقبح باقران يساعدونه على تناول اللذات الجسمية ومال طبعه الى استكثار من المطاعم
والمشارب والمراكب والزينة وارتباط الخيل الفرهة والعبيد المروقة كما اتفق مثل ذلك لي في بعض الاوقات ثم انهمك فيها
واشتغل بها عن السعادة التي اهل لها فليعلم ان جميع ذلك شقاء لا نعيم وخسران لا ربح وليجتهد على الندم الى فطام
نفسه منها وما اصعب ذلك الا انه على كل حال خير من التمادي في الباطل **وليعلم الناظر** في هذا الكتاب اني خاصة قد
تدرجت الى فطام نفسي بعد الكبر واستحكام العادة وجاهدتها جهادا عظيما **ورضيت** لك ايها الفاحص عن الفضائل والطالب
للادب الحقيقي بما رضيت لنفسي بل تجاوزت في النصيحة لك الى ان اشرت عليك بما فاتني في ابتداء امري لتتدارك
ودللتك على طريق النجاة قبل ان تتيه في مفاوز الضلالة وقدمت لك السفينة قبل ان تغرق في بحر المهالك **فالله الله** يا معشر
الاخوان والاولاد واستسلموا للحق وتادبوا بالادب الحقيقي لا المزور وخذوا الحكمة البالغة وانتهجوا الصراط المستقيم وتصوروا
حالات انفسكم وتذكروا قواها واعلموا ان اصح مثل ضرب لكم من انفسكم الثلاث التي مر ذكرها في المقالة الاولى مثل ثلاث حيوانات مختلفة
جمعت في رباط واحد ملك وسبع وخنزير فايها غلب بقوته قوة الباقين كان الحكم له **وليعلم** من تصور هذا المثل ان النفس لما كانت
جوهرا غير جسم ولا فيها شيء من قوى الجسم واعراضه كما بينا ذلك في صدر الكتاب كان اتحادها واتصالها بخلاف اتحاد الاجسام واتصالها
بعضها ببعض وذلك ان هذه الانفس الثلاث اذا اتصلت صارت شيئا واحدا ومع انها تكون شيئا واحدا فهي باقية التغاير بالقوى حتى تنفرد
الواحدة بعد الواحدة حتى كانها لم تتصل بالاخرى ولم تختلط بها وتستبد ايضا الواحدة بالاخرى حتى كانها غير موجودة ولا
قوة تنفرد بها وذلك ان اتحادها ليس بان يتصل نهاياتها ولا بان يتلاقى سطوحها كما يكون ذلك في الاجسام
بل يصير في بعض الاحوال شيئا واحدا وفي بعض الاحوال اشياء مختلفة بحسب ما يهيج قوة بعضها او تسكن ولذلك قال

قال قوم ان النفس واحدة ولها قوى كثيرة وقال آخرون بل هي واحدة بالذات كثيرة بالموضوع وهذا شيء يخرج الكلام
فيه عن غرض الكتاب وسنبينه في موضعه وليس يضرك في هذا الوقت ان تعتقد اي الآراء شئت بعد ان تعلم ان بعض هذه
كريمة ادبية بالطبع وبعضها بهيمية عادمة الادب لانها لا تقبل التاديب وتنقاد فالتي هي ادبية **اما الكريمة الادبية**
بالطبع فالنفس الناطقة **واما العادية** للادب وهي مع ذلك غير قابلة له فهي النفس البهيمية **واما التي**
عدمت الادب ولكنها تقبله وتنقاد له فهي النفس الغضبية وانما وهب الله لنا هذه النفس خاصة لنستعين بها على تقويم
البهيمية التي لا تقبل الادب وقد شبهت القدماء الانسان وحاله في هذه الانفس الثلاث بانسان راكب بهيمة قوية ومعه كلب
او فهد للقنص فان كان الانسان من بينهم هو الذي يروض دابته وكلبه يصرفهما ويطيعانه في سيره وتصيده [illegible]
منتصفاته فلا شك في رغد العيش المشترك بين الثلاثة وحسن احوالهم لان الانسان يكون مرفها في مجرى تطلبه
فرسه حيث يجب وكما يجب ويطلق كلبه ايضا لذلك واذا نزل واستراح اراحهما معه واحسن القيام عليهما واراح علتهما
في المطعم والمشرب وكفاية الاعداء في غير ذلك من مصالحهما واذا كانت البهيمية هي الغالبة ساءت حال الثلاثة كلهم
وكان الانسان مضعوفا عندها فلم يطع فارسها وعانا فان رات عشبا من بعيد عدت نحوه وتعسفت في عدوها
وعدلت عن الطريق النهج فاعترضها الاودية والوهاد والشوك والشجر فتقحمتها وتورطت فيها وتحوي فارسها
ما لحق مثله في هذه الاحوال فيصيبها جميعا من انواع المكاره والاشراف على الهلكة ما لا خفاء به وكذلك ان
قوي الكلب ولم يطع صاحبه فاري من بعيد صيدا اخذ نحوه فجذب الفرس وفارسه ولحق الجميع من الضرر والضر اضعاف ما ذكرنا
وفي تصور هذا المثل الذي ضربه القدماء ما ينبه على حال هذه النفوس بعضها عند بعض ودلالة على ما وهب الله عز وجل
للانسان وملكه منه وعرضه لحفظه وما يضيعه بعض بحيث خالقه تعالى فيها عند اهمال السياسة وايثار امرها بين القوتين بعيدة
نعمها وهما اللذان يتبعاه بتامره عليهما **فمن** اسوء حالا ممن اهمل سياسة الله ونضيع نعمته عليه وترك هذه القوى
فيه هائجة مضطربة تتغالب وصار الرئيس مرؤسا والملك فيها مستعبدا نعوذ بالله من الانتكاس في الخلق الذي
سببه طاعة الشياطين واتباع الاراء السيئة فلينسب الانسان بها الى غير هذه القوى التي وصفناها ووصفنا
احوالها ونسأل الله عصمته ومعونته على تهذيب هذه النفوس حتى تنتهي فيها الى الطاعة التي هي مصالحها ونجاتنا
وخلاصنا الى الفوز الاكبر والنعيم المسرمد **فقد** علمنا الان ان النفس العاقلة اذا عرفت شرف نفسها وخسة

مرتبتها من الله عز وجل احسنت خلافته في ترتيب هذه القوى وسياستها بحسب الفريضة التي اعطاها افضل عطايا
من كرامة الله ومنزلتها من العلو والشرف وخضع السبع والبهيمة ثم يقوم النفس الغضبية التي سميناها سبعية
وتعودها الى الادب تحملها على حسن طاعتها وتستنهضها في وقت هيجان النفس البهيمية وحركتها الى الشهوات حتى تقمع
بغذه سلطان تلك وتستخدمها في تاديبها او تستعين بقوة هذه على تأبي تلك وذلك ان هذه النفس الغضبية قابلة
للادب قوية على قمع الاخرى كما قلنا وتلك النفس البهيمية عادمة للادب غير قابلة له فاما النفس الناطقة اعني
العاقلة فهي كما قال افلاطون بهذه الالفاظ اما هذه فبمنزلة الذهب في اللين والانعطاف واما تلك فبمنزلة الحديد
في الصلابة والامتناع فان انت اثرت الفعل الجميل في وقت وجاذبتك القوة الاخرى الى اللذة او الى خلاف ما اثرت فاستعن
بقوة الغضب التي تثور وتهيج بالانفة والحمية واقهر بها النفس البهيمية فان غلبتك مع ذلك ثم ندمت وانفت فانت في
طريق الصلاح فعليك بالتحرز منها واحذر ان تعاودك بالطمع فيك والغلبة لك فان لم تفعل ذلك ولم تكن العقبى في الغلبة
لك كنت كما قال الحكيم الاول اني ارى اكثر الناس يدعون محبة الافعال الجميلة ثم لا يحتملون المؤونة فيها على علمهم بفضلها
فيغلبهم الرقة ومحبة البطالة فلا يكون بينهم وبين من لا يحب الجميل فرق اذا لم يحتملوا مؤونة الصبر ويصبروا الى ان تتم ما اثروه وعرفوا
فضله واذكر مثل البير الذي تردى فيه البصير والاعمى فيكونان في الهلكة سواء الا ان الاعمى اعذر ومن يصل من هذه الاداب
الى مرتبة يعتد بها ويكتسب بها الفضائل التي عددناها فقد وجب عليه تاديب غيره وافاضة ما اعطاه الله على ابناء جنسه

فصل في تاديب الاحداث والصبيان نقلت اكثره من كتاب بروسن

فقد قلنا فيما تقدم ان اول قوة تظهر في الانسان
اول ما يكون هي القوة التي يشتاق بها الى الغذاء الذي هو سبب كونه حيا فيتحرك بالطبع الى اللبن ويلتمس من الثدي
الذي هو معدنه من غير تعليم ولا توقيف ويحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت الذي هو مادته ودليله
الذي يدل به على اللذة والاذى ثم تتزيد فيه هذه القوة وتشوقه الى الازدياد والتصرف بها في انواع الشهوات
فيحدث فيه على التحرك نحوها بالالات التي تخلق له ثم يحدث له الشوق الى الافعال التي يصل بها الى هذه ثم يحدث
له من الحواس قوة على تخيل الامور ويرتسم في قوته الخيالية مثالات فيشتاق اليها ثم تظهر فيه قوة الغضب التي يشتاق بها
الى دفع ما يؤذيه ومقاومة ما يمنعه من منافعه فان اطاق بنفسه ان ينتقم ممن يؤذيه انتقم منه والا التمس معونة غيره واستصرخ
بوالديه بالتصويت والبكاء ثم يحدث له الشوق الى تمييز الافعال الانسانية خاصة اولا اولا حتى يصير الى كماله في هذا

هذا التمييز فيه حينئذ فلا تزال هذه القوى كثيرة وبعضها ضرورية في وجود الاخرى الى ان ينتهي الى الغاية الاخيرة وهي التمام
لا يراد لغاية اخرى وهو الخير المطلق الذي يتشوقه الانسان من حيث هو انسان فاول ما يحدث فيه من هذه
القوى الحياء وهو الخوف من ظهور شيء قبيح منه ولذلك قلنا اول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي ويستدل
به على عقله الحياء فانه يدل على انه قد احس بالقبيح ومع احساسه به هو يحذره ويجتنبه ويخاف ان يظهر منه او فيه
فاذا نظرت الى الصبي فوجدته مستحييا مطرقا رامياً بطرفه الى الارض غير وقاح الوجه ولا محدقا اليك فهو اول دليل
على نجابته والشاهد لك على ان نفسه قد احست بالجميل والقبيح فان حياءه هو انحصار نفسه خوفا من قبيح يظهر منه
وهذا ليس بشيء اكثر من ايثار الجميل والهرب من القبيح بالتمييز والعقل وهذه النفس مستعدة للتاديب صالحة للعناية لا
ان يهمل ولا يترك ومخالطة الاضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة من كان بهذه الحال من الاستعداد
لقبول الفضيلة فيحقر عنده قدر الطعام الذي يستطعمه اهل الشره ويقبح عنده صورة من شره اليه وينال منه فوق حاجة
بدنه او ما لا يوافقه حتى يقتصر على لون واحد ولا يرغب في الالوان الكثيرة واذا جلس مع غيره ولا يبادر الى الطعام
ولا يديم النظر الى الوانه ولا يحدق اليه شديدا ويقتصر على ما يليه ولا يسرع في الاكل ولا يوالي بين اللقم
بسرعة ولا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ولا يلطخ يده ولا ثوبه ولا يلحظ من يؤاكله ولا يتتبع بنظره
مواقع يده من الطعام ويعود ان يؤثر غيره مما يليه ان كان افضل مما عنده ثم يضبط شهوته حتى يقتصر
على ادنى الطعام وادونه وليأكل الخبز والقفار الذي لا ادم معه في بعض الاوقات وهذه الاداب وان كانت
جميلة بالفقراء فهي اجمل بالاغنياء وينبغي ان يستوفي غذاءه بالعشي فانه ان استوفاه بالنهار كسل واحتاج الى
النوم وتبلد فهمه مع ذلك وان منع اللحم في اكثر اوقاته كان نافعا بالحركة والتيقظ وقلة البلادة وبعثه على النشاط
الخفة فاما الحلواء والفاكهة فينبغي ان يمنع منها البتة ان امكن والا فليتناول اقل ما يمكن ثم يستحيل في بدنه
فيكثر انحلاله ويعوده مع ذلك الشره ومحبة الاستكثار من المآكل ويعود ان لا يشرب في خلال طعامه الماء فاما
النبيذ واصناف الاشربة المسكرة فاياه واياها فانها تضره في بدنه ونفسه وتحمله على سرعة الغضب والتهور والاقدام على القبائح
وعلى القحة وسائر الخلال المذمومة ولا ينبغي ان يحضر مجالس اهل النبيذ الا ان يكون اهل المجلس الادباء فضلاء فاما
غيرهم فلا لئلا يسمع الكلام القبيح والسخافات التي تجري فيه وينبغي ان لا يأكل حتى يفرغ من وظائف الادب التي

يتعلمها ويتعب تعباً كافياً وينبغي أن يمنع من كل فعل يستره ويخفيه فإنه ليس يخفي شيئاً إلا وهو يظن أو يعلم أنه قبيح و
يمنع من النوم الكثير فإنه يقبحه ويغلظ ذهنه ويميت خاطره هذا بالليل فأما بالنهار فلا ينبغي أن يتعوده البتة و
يمنع أيضاً الفراش الوطيء وجميع أنواع الترفه والتنعم حتى تصلب أبدانه ويتعود الخشونة ولا يتعود الخيش والأسراب والأزوار
والأوتار والنيران في الشتاء للأسباب التي ذكرناها ويتعود المشي والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعود أضدادها
ويتعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع في مشيه ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره ولا يربي شعره ولا يتزين بملابس
النساء ولا يلبس خاتماً إلا وقت حاجته إليه ولا يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه ولا بشيء من مأكله وملابسه وما يجري مجراهما
بل يتواضع لكل واحد ويكرم كل من عاشره ولا يتوصل بيسر إن كان له أو سلطان من أهله إن اتفق له
إلى غصب من هو دونه أو استهانة من لا يمكنه أن يرده عن هواه أو تطاول عليه كمن اتفق له أن كان خاله وزيراً أو
سلطاناً فتطرق به إلى هضيمة أقرانه وتلول إخوانه واستباحة أموال جيرانه ومعارفه وينبغي أن يتعود أن لا يبزق في
مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يضع رجلاً على رجل ولا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعمد رأسه بيده فإن هذا
دليل الكسل وأنه قد بلغ به الفشل إلى أن لا يحمل رأسه حتى يستعين بيده ويتعود أن لا يكذب ولا يحلف البتة لا صادقاً
ولا كاذباً فإن هذا قبيح بالرجال مع الحاجة إليه في بعض الأوقات فأما الصبي فلا حاجة به إلى اليمين ويتعود أيضاً الصمت
وقلة الكلام وأن لا يتكلم إلا جواباً وإذا حضر من هو أكبر منه اشتغل بالاستماع منه والصمت له ويمنع من خبيث الكلام
ومن هجينه ومن السب واللعن ولغو الكلام ويتعود حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكريمه ولا يرخص له أن يسمع أضدادها
من غيره ويتعود خدمة نفسه ومعلمه وكل من كان أكبر منه وأحوج الصبيان إلى هذا الأدب أولاد الأغنياء والمترفين وإذا ينبغي
ضربه المعلم أن لا يصرخ ولا يستشفع بأحد فإن هذا الفعل فعل المماليك ومن هو خوار ضعيف ولا يعير أحداً
إلا بالقبيح والشيء من الآداب ويتعود أن يبر الصبيان وأن يكافئهم على الجميل بأكثر منه لئلا يتعود الربح على الصبيان
وعلى الصديق ويبغض إليه الفضة والذهب ويحذر منهما أكثر من تحذير السباع والحيات والعقارب والأفاعي
فإن آفة حب الفضة والذهب أكثر من آفة السموم وينبغي أن يؤذن له في بعض الأوقات أن يلعب لعباً جميلاً
ليستريح إليه من تعب الأدب ولا يكون في لعبه ألم ولا تعب شديد ويتعود طاعة والديه ومعلمه ومؤدبيه وأن
ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم ويهابهم فإن هذه الآداب نافعة لهم وهي للكبار من الناس أيضاً نافعة ولكنها

لكنها للاحداث انفع لانها تعودهم محبة الفضايل وينشأون عليها ولا يثقل عليهم تجنب الرذايل ويسهل عليهم
بعد ذلك جميع ما ترسمه الحكمة وتحده الشريعة والسنة ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم اليه من اللذات القبيحة
ويكفهم عن الانهماك في شيء منها والفكر الكثير فيها ويسوقهم الى مرتبة الفلسفة العالية ويرقيهم الى معالي الامور التي
وصفناها في اول الكتاب من التقرب الى الله عز وجل ومجاورة الملائكة مع حسن الحال في الدنيا وطيب العيش
وجميل الاحدوثة وقلة الاعداء وكثرة المداح والراغبين في مودته من الفضلاء خاصة فاذا تجاوز هذه الدرجة
وبلغ امامه الى ان يفهم اغراض الناس وعواقب الامور فهم ان الغرض الاخير من هذه الاشياء التي يقصدها
الناس ويحرصون عليها من الثروة واقتناء الضياع والعبيد والخيل والفرش واشباه ذلك انما هو تصحيح البدن وحفظ
صحته وان يبقى على اعتداله مدة ما وان لا يقع في الامراض ولا يعجل المنية وان يتهيأ لنعمة الله عز وجل عليه ويستعد
لدار البقاء والحيوة السرمدية وان اللذات البدنية كلها بالحقيقة هي خلاص من الالام وراحات من تعب فاذا عرف
ذلك وتحققه ثم تعوده بالسيرة الدايمة عليه وعلى الرياضات التي تحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتنفي الكسل وتطرد
البلادة وتبعث النشاط وتذكي النفس فمن كان مكلا مترفا كانت هذه الاشياء التي رسمتها اصعب عليه لكثرة من
يعنف به ويخوفه والموافقة لطبيعة الانسان في اول ما ينشأ هذه اللذات ولاجماع جمهور الناس على نيل ما امكنهم منها
وطلب ما تعذر عليهم بغاية جهدهم **فاما** الفقراء فالامر عليهم اسهل بل هم قريبون الى الفضايل قادرون عليها
متمكنون من نيلها والاصابة منها وحال المتوسطين من الناس متوسطة في هاتين الحالتين وقد كان ملوك
الفرس الفضلاء لا يربون اولادهم بين حشمهم وخواصهم خوفا عليهم من الاحوال التي ذكرتها وكانوا ينفذونهم
الى النواحي البعيدة منهم ومن سماع ما حذرت منه فكان يتولى تربيتهم اهل الجفاء وخشونة العيش ومن
لا يعرفون التنعم والترفه واخبارهم في ذلك مشهورة وكثير من رؤساء الديلم في زماننا هذا ينقلون اولادهم عند
ما ينشأون الى بلادهم ليتعودوا بها هذه الاخلاق ويبعدوا عن التنعم وعادات اهل البلدان الردية **واذ قد**
عرفت هذه الطرق المحمودة في تاديب الاحداث فقد عرفت اضدادها اعني ان من نشأ على خلاف هذا المذهب
والتاديب لقبيح فلا حاجة ولا ينبغي ان يشتغل بصلاحه وتقويمه فانه قد صار بمنزلة الخنزير الوحشي الذي لا يطمع في
رياضته فان نفسه العاقلة تصير خادمة لنفسه البهيمية ولنفسه الغضبية فهي منهمكة في مطالبها من اللذات كما لا يليق

الى الرياضة من نشأ على هذه الطريقة واعتادها فانه معن قليلا فى السن الا ان يكون جميع احواله ملائما مع
سيرته ذاما لها عائبا على نفسه عازما على الاقلاع والانابة فان مثل هذا الانسان قد يرجى له التنزع عن
اخلاقه بالتدريج والرجوع الى الطريقة المثلى بالتوبة وبصاحبة الاخيار واهل الحكمة وبالاكباب على التفلسف
واذ قد ذكرنا الخلق المحمود وما ينبغى ان يؤخذ به الاحداث والصبيان فنحن واصفون جميع القوى التى تحدث
للحيوان اولا اولا الى ان ينتهى اقصى الكمال فانك شديد الحاجة الى معرفة ذلك لتنبهك على الترتيب الطبيعى فى تقويم
واحد واحد منها **فنقول** ان الاجسام الطبيعية كلها تشترك فى الحد الذى يعمها ثم تتفاضل بقبول الآثار
الشريفة والصور التى تحدث فيها فان الجماد منها اذا قبل صورة مقبولة عند الناس صار بها افضل من الطينة
الاولى التى لا تقبل تلك الصورة فاذا بلغ الى ان يقبل صورة النبات صار بزيادة هذه الصورة افضل من الجماد
وتلك الزيادة هى الاغتذاء والنمو والامتداد فى الاقطار واجتذاب ما يوافقه من الارض والماء وترك ما لا يوافقه
ونفض الفضول التى تتولد فيه من غذائه عن جسمه بالصموغ وهذه هى الاشياء التى تفضل بها النبات من
الجماد وهى حال زائدة على الجسمية التى حددناها لو كانت حاصلة فى الجماد وهذه الحالة الزائدة فى النبات التى تشرف
بها على الجماد تتفاضل فى ذلك ان بعضها يفارق الجماد مفارقة يسيرة ثم يتدرج فيها فيحصل من هذه الزيادة شئ بعد
فبعضها ينبت من غير بذر ولا يحفظ نوعه بالثمر والنوى والبذر ويكفيه فى حدوثه امتزاج العناصر وهبوب الرياح وطلوع
الشمس فذلك هو افق الجمادات وقريب الحال منها ثم تزداد هذه الفضيلة فى النبات فيفضل بعضه على بعض
بنظام وترتيب حتى يظهر فيه قوة الاثمار وحفظ النوع بالبذر الذى يخلف به مثله فيصير هذه الحال زائدة فيه
ومميزة له عن حال ما قبله ثم تقوى هذه الفضيلة فيه حتى يصير فضل الثالث على الثانى كفضل الثانى على الاول
ولا يزال يتشرف ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ الى افقه ويصير فى افق الحيوان وهى كذا فى الشجر كالزيتون والرمان
والكرم واصناف الفواكه الا انها بعد مختلطة القوى اعنى ان قوى ذكورها واناثها مختلطات غير
متميزة فهى تحمل وتولد المثل ولم يبلغ غاية افقها التى يتصل بافق الحيوان ثم تزداد وتمعن فى هذا الافق الى
ان يصير فى افق الحيوان فلا يحتمل زيادة وذلك انها ان قبلت زيادة يسيرة صارت حيوانا وخرجت عن افق
النبات فتتميز قواها ويحصل فيها ذكورة وانوثة وتقبل من فضائل الحيوان امورا تتميز بها من سائر النبات و

والشجر كالنخل الذي طالع افق الحيوان بالخواص الشريفة المذكورة في موضعها ولم يبق بينه وبين الحيوان الا مرتبة واحدة وهي الانقلاع من الارض والسعي الى الغذاء **وقد روي** في الخبر ما هو كالاشارة او كالرمز الى هذا المعنى وهو قوله صلى الله عليه واله وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة ادم فاذا تحرك النبات وانقلع من افقه وسعى الى غذائه ولم يتقيد في موضعه الى ان يصير اليه غذاؤه وكوّنت له الالات التي يتناول بها حاجات التي بكماله فقد صار حيوانا وهذه الالات يتزايد في الحيوان من اول افقه ويتفاضل فيه ويشرف بعضها على بعض كما كان ذلك في النبات فلا يزال يقبل فضيلة بعد فضيلة حتى يظهر فيها قوة الشعور باللذة والاذى فيلتذ بوصوله الى منافعه ويتالم بوصول مضاره اليه ثم يقبل الهام الله عز وجل اياه فيهتدي الى مصالحه ويطلبها والى اضدادها فيهرب منها وما كان من الحيوان في اول افق النبات فانه لا يتزاوج ولا يخلف المثل بل يتولد فقط كالديدان والذباب واصناف الحشرات الخسيسة ثم يتزايد فيها قبول الفضيلة كما كان ذلك في النبات سواء ثم يحدث فيه قوة الغضب التي ينهض بها الى دفع ما يؤذيها فيعطى من السلاح بحسب قوتها وما يطيق استعماله فان كانت قوته الغضبية شديدة كان سلاحه قويا تاما وان كانت ناقصة كان ناقصا وان كانت ضعيفة جدا لم يعط سلاحا البتة بل يعطى آلة الهرب كشدة العدو والمقدرة على الحيل التي تنجيه من مخاوفه وانت ترى ذلك عيانا من الحيوان التي اعطي القرون التي تجري له مجرى الرماح والذي اعطي الانياب والمخالب التي تجري له مجرى السكاكين والخناجر والذي اعطي الرمي الذي يجري له مجرى النبل والنشاب والذي اعطي الحوافر التي تجري له مجرى الدبوس والطبرزين فاما ما لم يعط سلاحا لضعفه عن استعماله ولقلة شجاعته ونقصان قوته الغضبية ولانه لو اعطيه لصار كلا عليه فقد اعطي آلة الهرب والحيل بجودة العدو والخفة والختل والمراوغة كالارانب والثعالب واشباهها **واذا** انصفت احوال الموجودات والسباع والوحش والطير رايت هذه الحكمة مستمرة فيها فتبارك الله احسن الخالقين **فاما الانسان** فقد عوض من هذه الالات كلها بان هدي الى استعمالها كلها وسخرت هذه كلها له وسنتكلم في ذلك في موضعه فاما الان فانا ننبه على هذه الاشياء والشكوك التي تعترض في قصد بعضها بعضا بالتلف وانواع الالم والاذى فليس يليق بهذا الموضع وسنذكر ما ان اخر الله في الاجل عند بلوغنا الى الموضع الخاص به ونعود الى ذكر مراتب الحيوان **فنقول** ان ما اهتدى منها الى الازدواج وطلب النسل وحفظ الولد وتربيته والاشفاق عليه بالكن والعش والكناس كانت امه

فيما يليه من تغذيته اما باللبن واما بنقل الغذاء اليه فانه افضل مما لا يهتدي الى شيء منها ثم لا يزال هذه الاحوال
تتزايد في الحيوان حتى تقرب من افق الانسان فحينئذ يقبل التاديب ويصير بقبوله الادب فاضلا يتميز بها من سائر الحيوانات
الاخر ثم يتزايد هذه الفضيلة في الحيوانات حتى يتشرف بها صاحبها بالشرف كالفرس المؤدب والبازي المعلم ثم يصير من هذه
المرتبة الى الحيوان الذي يحاكي الانسان من تلقاء نفسه ويتشبه به من غير تعليم كالقردة وما اشبهها ويبلغ من ذكائها
الى ان يكتفي في التاديب بان يرى الانسان يعمل عملا فيعمل مثله من غير ان يحوج الانسان الى تعب بها ورياضة
لها وهذه غاية افق الحيوان التي ان تجاوزها وقبل زيادة يسيرة خرج بها عن افقه وصار في افق الانسان الذي
يقبل العقل والتمييز والنطق والآلات التي يستعملها والصور التي تلائمها فاذا بلغ هذه المرتبة تحرك الى المعارف واشتاق
الى العلوم وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل يقتدر بها على الترقي والامعان في هذه المرتبة كما كان
ذلك في المراتب الاخر التي ذكرناها واول هذه المراتب من افق الانسان المتصلة باخر افق الحيوان مراتب الناس الذين
يسكنون في اقاصي المعمورة من الشمال والجنوب كاواخر الترك من بلاد ياجوج وماجوج واواخر الزنج واشباههم من الامم
التي لا تتميز عن القرود الا بمرتبة يسيرة ثم تتزايد فيهم قوة التمييز والفهم الى ان يصيروا الى وسط الاقاليم فيحدث فيهم الذكاء و
سرعة الفهم وقبول الفضائل والى هذا الموضع ينتهي فعل الطبيعة التي وكلها الله عز وجل بالموجودات المحسوسة ثم يستعد بهذا
القبول لاكتساب الفضائل واقتناء الآداب بالارادة والسعي والاجتهاد الذي ذكرناه فيما تقدم حتى يصل الى اخر
افقه فاذا صار الى افقه اتصل باول افق الملائكة وهذه اعلى مرتبة الانسان وعندها يتلاحد الموجودات و
يتصل اولها باخرها واخرها باولها وهو الذي يسمى **دائرة الوجود** لان الدائرة هي التي قيل في حدها انها خط
واحد يبتدئ بالحركة من نقطة وينتهي اليها بعينها ودائرة الوجود هي المتاحدة التي جعلت الكثرة وحدة وهي التي دلت
دلالة صادقة برهانية على وحدانية موجدها وحكمته وقدرته وجوده تبارك اسمه وتعالى جده وتقدس ذكره ولولا ان
شرح هذا الموضع لا يليق بصناعة تهذيب الاخلاق لشرحناه وانت تقف عليه ان بلغت اليه بمشية الله وحده
تصورت ما قدمنا واومانا اليه وفهمته اطلعت على الحالة التي خلقت لها وندبت اليها وعرفت الامر الذي يتصل بك
من مرتبة بعد مرتبة وركوبك طبقا عن طبق وحدث لك الايمان الصحيح وشهدت ما غاب عن غيرك من الدهماء و
بلغت الى ان تدرج الى العلوم الشريفة المكنونة التي سبيلها ان تعلم بالمنطق فانه الاثر في تقويم الفهم والعقل الذي هو

ثم الوصول به الى معرفة الخالق وطلب القربة والتعلق بها والتوسع فيها والتوصل منها الى العلوم الالهية وحينئذ
يستعد لقبول مواهب الله عز وجل وعطاياه ويأتيك الفيض الالهي وتسكن عن قلق الطبيعة وحركات الشهوات
الحيوانية وتلحظ المراتب التي ترقيت منها اولا اولا من مراتب الموجودات وعلمت ان كل مرتبة منها محتاجة الى ما قبلها
وجودها وعلمت ان الانسان لا يترك لما له الا بعد ان يحصل له ما قبله وانه اذا حصل انسانا كاملا وبلغ غايته افقه اشرق
نور الافق الاعلى عليه وصار اما حكيما تاما تأتيه الالهامات فيما يتصرف فيه من المحاولات الحكمية والتأييدات العلوية
في التصورات العقلية واما نبيا مؤيدا يأتيه الوحي على ضروب المنازل التي يكون له عند الله عز وجل فيصير حينئذ واسطة
بين الملأ الاعلى والملأ الاسفل وبذلك يتصور حال الموجودات كلها والحال التي ينتقل اليها من حال الانسية وحط الفطنة
الافاق التي ذكرناها حينئذ يفهم عن الله عز وجل قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ويتصور معنى قول رسول
الله صلى الله عليه وآله هناك ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اذ ابلغنا الكلام الى ذكر
هذه المنزلة العالية الشريفة التي اهل الانسان لها ونقضنا الحواله التي يترقى فيها وانه يكون اولا بالشوق الى المعارف
والعلوم فينبغي ان نزيد في بيانه وشرحه **فنقول** ان هذا الشوق ربما ساق الانسان على منهاج قويم وقصد صحيح
حتى يتأدى الى غاية كماله وهي سعادته التامة وقلما يتفق ذلك وربما اعوج به عن السمت والسنن وذلك
لاسباب كثيرة يطول ذكرها ولا حاجة بك الى علمها الآن وانت في تهذيب خلقك فكما ان الطبيعة المدبرة
للاجسام ربما اشتاقت الى ما ليس بتمام الجسم الطبيعي لعلل يحدث به وآفات تطرأ عليه بمنزلة من يشتاق الى اكل الطين
وما جرى مجراه مما لا يكمل طبيعة الجسد بل يهدمه ويفسده كذلك ايضا النفس الناطقة ربما اشتاقت الى النظر والتمييز
الذي لا يكمله ولا يشوقه نحو سعادته بل يحركه الى الاشياء التي تعوقه وتقصر به عن كماله فحينئذ يحتاج الى علاج
نفساني روحاني كما احتاج في الحالة الاولى الى طب طبيعي جسماني ولذلك يكثر حاجات الناس الى المقومين
والمثقفين والى المؤدبين والمسددين فان وجود تلك الطبايع الفايقة التي ينساق بذاتها من غير توقيف الى السعادة
عسيرة الوجود لا يوجد الا في الازمنة الطوال والمدد البعيدة وهذا الادب الحق الذي يؤدينا الى غايتنا يجب ان يلحظ
فيها الشيء الذي يجري مجرى الغاية حتى اذا لحظت الغاية تدرج منها الى الامور الطبيعية على طريق التحليل ثم
يبتدئ من اسفل على طريق التركيب فيسلك فيها الى ان ينتهي الى الغاية التي لحظت اولا وهذا هو المعنى الذي

اخرجنا فى مبدأ هذا الكتاب فى فصل اخر منه الى ان نذكر اشياء عالية لا يليق بهذه الصناعة ليتشوق اليها من يستحقها ان
ليس يمكن الانسان ان يشتاق الى ما لا يعرفه البتة فاذا لحظها من بعيد قبول لها وعناية بها عرفها ببعض المعرفة فيتشوقها و
سعى نحوها واحتمل التعب والنصب فيها **وينبغى** ان يعلم ان كل انسان معد نحو فضيلة ما فهو اليها اقرب والوصول اليها احرى
ولذلك ما تصير سعادة الواحد من الناس غير سعادة الاخر الا من اتفقت له نفس صافية وطبيعة فائقة فينتهى الى غايات
الامور والى غاياتها اعنى السعادة القصوى التى لا سعادة بعدها ولاجل ذلك يجب على مدبر البلدان ان
يشوق كل انسان نحو سعادته التى يخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره لهم بقسمين احدهما فى تسديد الناس و
تقويمهم بالعلوم الفكرية والاخر فى تسديدهم نحو الصناعات والاعمال الحسية واذا اسعدهم نحو السعادة بدأ بهم من الغاية الاخيرة
على طريق التحليل ووقف بهم عند القوى التى ذكرناها واذا اسعدهم نحو السعادة العملية بدأ بهم من عند هذه القوى وانتهى
بهم الى تلك الغايات **ولما كان** غرضنا فى هذا الكتاب السعادة الخلقية وان يصدر عنا الافعال كلها جميلة كما رسمنا
فى صدر هذا الكتاب وعملناه لمحبى الحكمة لا للعوام وكان النظر متقدم العمل وجب ان نذكر الخير المطلق والسعادة الانسانية
لتلحظ الغاية الاخيرة ثم تطلب بالافعال الارادية التى ذكرنا فى المقالة الاولى وارسطاطاليس انما بدأ كتابه بهذا الموضع
افتتح بذكر الخير المطلق ليعرف ويتشوق ونحن نذكر ما قاله ونتبعه بما اخذناه ايضا عنه فى مواضع اخر ليجمع لنا ما فرقه فى تصنيف
الى ذلك ما اخذناه عن مفسرى كتبه والمستقلين بحكمته بحسب استطاعتنا والله الموفق والمؤيد فان الخيرات بيده وهو حسبنا
ونعم الوكيل وصلوته على نبيه محمد واله

تمت المقالة الثانية

نبدأ بمعونة الله تعالى فى هذه المقالة
بذكر الفرق بين الخير والسعادة بعد ان نحكى الفاظ ارسطو اقتداء به وتوفية لحقه **فنقول** ان الخير على ما حده
واستحسنه من اراده المتقدمين هو المقصود من الكل وهو الغاية الاخيرة وقد يسمى الشئ النافع فى هذه الغاية خيرا
فاما السعادة فهو الخير بالاضافة الى صاحبها وهى كمال له فالسعادة اذن خير ما وقد يكون سعادة الانسان
غير سعادة الفرس وسعادة كل شئ فى تمامه وكماله الذى يخصه فاما الخير الذى يقصده الكل بالشوق فهو
طبيعة مقصد ولها ذات وهو الخير العام للناس من حيث هم ناس فهم باجمعهم مشتركون فيها واما السعادة فهو خير
بالواحد واحد من الناس فهى اذن بالاضافة وليس لها ذات بعينه وهى تختلف بالاضافة الى قاصديها فلذلك
يكون الخير المطلق غير مختلف فيه وقد نظن ان السعادة يكون لغير الناطقين فان كان ذلك فانما هو استعما

استعدادات فيها لقبول تمام ما تهيأت له كالانتهاء عن غير قصد ولا روية ولا ارادات فتلك الاستعدادات هي الشوق او
ما يجري مجرى الشوق من الناطقين بالارادة فاما ما يأتي الحيوانات في مالها ومآربها واوطارها فينبغي ان نسمي
بختا واتفاقا ولا يؤهل لاسم السعادة كما لا يسمى في الانسان ايضا وانما استحسن ذلك الحد الذي ذكرناه للخير المطلق
لان العقل لا يطلق السعي والحركة الى ما لا نهاية وهذا اول في العقل ومثال ذلك ان الصناعات والمهن والتدابير
الاختيارية كلها يقصد بها خير ما وما لم يقصد به خير فهو عبث والعقل يحظره ويمنع منه فبالواجب صار الخير المطلق هو المقصود
اليه من كل الناس ولكن بقي ان يعلم ما هو ما الغاية الاخيرة منه التي هي غاية الخيرات التي ينتهي الخيرات كلها اليها
ليجعل ذلك الخير غرضنا ونتوجه اليه ولا نصرف افكارنا في الخيرات الكثيرة التي تؤدي اليها اما تأدية بعيدة واما تأدية قريبة
ولا يغلط ايضا فيما ليس بخير فنظنه خيرا ونفني اعمارنا في طلبه والتعب وكل سعي بمشية الله **اقسام الخير**
الخير على ما قسمه ارسطو وحكاه عنه فرفوريوس وغيره هكذا قال الخيرات منها ما هي شريفة ومنها ما هي ممدوحة ومنها ما هي
بالقوة كذلك ومنها ما هي نافعة فيها **فالشريفة** منها هي التي شرفها من ذاتها ويحصل من اقتناها ايضا شريفا وهي
الحكمة والعقل **والممدوحة** مثل الفضائل والافعال الجميلة الارادية **والتي** هي بالقوة هي مثل التهيؤ
والاستعداد لنيل الاشياء التي تقدمت **والنافعة** هي جميع الاشياء التي يطلب لا لذاتها بل ليوصل بها الى الخيرات
وعلى جهة اخرى الخيرات **منها** ما هي غايات **ومنها** ما ليست بغايات والغايات **منها**
ما هي تامة **ومنها** ما هي غير تامة فالتي هي تامة كالسعادة وذلك انا اذا وصلنا اليها لم نحتج الى ان نستزيد اليها شيئا
آخر والتي هي غير تامة فكالصحة واليسار من قبل انا اذا وصلنا اليها احتجنا الى ان نستزيد فتقتني اشياء اخر واما
التي ليست بغايات البتة فبمنزلة العلاج والتعلم والرياضة **وعلى جهة اخرى** الخيرات **منها** ما هي في
النفس **ومنها** ما هي في البدن **ومنها** ما هو خارج عنهما **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هو مؤثر لاجل ذاته ومنها
ما هو مؤثر لاجل غيره ومنها ما يؤثر للامرين جميعا **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هو خير على الاطلاق و
منها ما هو خير عند الضرورة وللاتفاق التي يتفق لبعض الناس في وقت دون وقت وايضا منها ما هو خير لجميع الناس
ومن جميع الوجوه وفي جميع الاوقات ومنها ما ليس لجميع الناس ولا من جميع الوجوه **وعلى جهة**
اخرى الخيرات منها ما هو في الجوهر ومنها ما هو في الكمية ومنها ما هو في الكيفية وفي سائر

المقولات فمنها كالقوى والملكات ومنها كالاحوال ومنها كالافعال ومنها كالغايات ومنها كالمواد ومنها كالآلات
ويوجد الخير في المقولات كلها يكون على هذا المثال **اما في الجوهر** اعني ما ليس بعرض فالله تعالى وتقدس هو الخير الاول
فان جميع الاشياء يحركها شوقها بالشوق اليه ولان ينال الخيرات الحقيقية من البقاء والسرمد والتمام وغيرها **واما في الكمية** فكالعدد
المعتدل والمقدار المعتدل فكالدارث **واما في الاضافة** فكالصداقات والرياسات **واما في الاين ومتى** فكالمكان
المعتدل والزمان الابيق للبهج **واما في الوضع** فكالقعود والاضطجاع والاتكاء الموافق **واما في الملك** فكالآلات
والمنافع **واما في الانفعال** فكالسماع الطيب وسائر المحسوسات المؤثرة **واما في الفعل** فمثل نفاذ الامر ورواج
الفعل **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها معقول ومنها محسوسات **فاما السعادة** فقد قلنا انها
خير ما وهي تمام الخيرات وغايتها والتام هو الذي اذا بلغنا اليه لم نحتج معه الى شيء آخر فلذلك نقول ان السعادة
هي افضل الخيرات ولكنه يحتاج في هذا التمام الذي هو الغاية القصوى الى سعادات اخر وهي التي في البدن والتي خارج
البدن وارسطو انه يقول انه يعسر على الانسان ان يفعل الافعال الشريفة بلا مادة مثل اتساع اليد وكثرة الاصدقاء
وجودة البخت قال ولهذا ما احتاجت الحكمة الى صناعة الملك في اظهار شرفها قال ولهذا قلنا ان كان شيء عطية
من الله تعالى وموهبته للناس فهي السعادة لانها عطية منه عز اسمه في اشرف منازل الخيرات وفي اعلى مراتبها
وهي خاصة للانسان التام ولذلك لا يشاركه فيها من ليس بتام كالصبيان ومن يجري مجراهم فهذه اقسام
الخيرات **واما اقسام السعادة** على مذهب الحكيم فهي خمسة اقسام **احدها** في صحة البدن
ولطف الحواس ويكون ذلك من اعتدال المزاج اعني ان يكون جيد السمع والبصر والشم والذوق واللمس **والثاني**
في الثروة والاعوان واشباهها حتى يتسع لان يضع المال في موضعه ويعمل به سائر الخيرات ويواسي منه اهل الخير
خاصة والمستحقين عامة ويعمل به كلما يزيد في فضائله ويستحق الثناء والحمد عليه **والثالث** ان يحسن
احدوثته في الناس وينتشر ذكره بين اهل الفضل فيكون ممدوحا بينهم ويكثرون الثناء عليه لما يصطنع فيه
من الاحسان والمعروف **والرابع** ان يكون منجحا في الامور وذلك اذا استتم كل ما روى فيه وعزم عليه
حتى يصير الى ما يامله منه **والخامس** ان يكون جيد الرأي صحيح الفكر سليم الاعتقادات في دينه وغيره بريئا
بريا من الخطاء والزلل جيد المشورة في الآراء فمن اجتمعت له هذه الاقسام كلها فهو السعيد الكامل على

على مذهب هذا الرجل الفاضل ومن حصل له بعضها كان حظه من السعادة بحسب ذلك واما الحكماء
الذين كانوا قبل هذا الرجل مثل فيثاغورس وسقراط وافلاطن واشباههم فانهم اجمعوا على ان الفضائل
والسعادة كلها في النفس وحدها ولذلك لما قسموا السعادة جعلوها كلها في قوى النفس التي ذكرناها في اول الكتاب
وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة واجمعوا على ان هذه الفضائل هي كافية في السعادة ولا يحتاج معها الى غيرها
من فضائل البدن ولا ما هو خارج البدن وان الانسان اذا حصل تلك الفضائل لم يضره في سعادته ان يكون سقيما
ناقص الاعضاء مبتلى بجميع امراض البدن اللهم الا ان يلحق النفس منها مضرة في افعالها مثل فساد العقل ورداءة
الذهن وما اشبههما فاما الفقر والخمول وسقوط الجاه وسائر الاشياء الخارجة عنا فليست عندهم بقادحة في
السعادة البتة واما الرواقيون وجماعة من الطبيعيين فانهم جعلوا البدن جزءا من الانسان ولم يجعلوه آلة كما شرحنا
فيما تقدم فلذلك اضطروا الى ان يجعلوا السعادة التي في النفس غير كاملة اذا لم تقترن بها سعادة البدن وما هو خارج البدن
ايضا اعني الاشياء التي تكون بالبخت والجد والمحققون من الحكماء يحقرون امر البخت وكل ما يكون به ومعه ولا يؤهلون
تلك الاشياء لاسم السعادة لان السعادة شيء ثابت غير زائل ولا متغير وهي اشرف الامور واكرمها وارفعها فلا يجعلون الاخس
من الاشياء وهو الذي يتغير ولا يثبت ولا يحصل بروية ولا فكر ولا يتأتى بعقل وفضيلة فيها نصيبا ولهذا النظر اختلف
القدماء في السعادة العظمى فظن قوم انها لا تحصل للانسان الا بعد مفارقة البدن والطبيعيات كلها وهؤلاء القوم هم
الذين حكينا عنهم ان السعادة العظمى هي في النفس وحدها وسموا الانسان ذلك الجوهر وحده دون البدن ولذلك
حكموا بانه ما دام متصلا بالطبيعة وكدرها ونجاسات البدن وضروراته وحاجات الانسان به وافتقاره الى الاشياء الكثيرة
فليس سعيدا على الاطلاق وايضا لما رأوها لا يكمل لوجود الاشياء العقلية لانها يستتر عنها بظلمة الهيولى اعني قصورها
ونقصها ظنوا انها اذا فارقت الجهالات صفت وخلصت قبلت الاضاءة والنور الالهي اعني العقل التام ويجب على
راي هؤلاء ان يكون الانسان لا يسعد السعادة التامة الا في الاخرة بعد موته واما ما دام هو انسان فليست
له سعادة تامة واما الفرقة الاخرى فانها قالت انه من القبيح الشنيع ان نظن بان الانسان ما دام
يعمل الاعمال الصالحة ويعتقد الاراء الصحيحة ويسعى في تحصيل الفضائل كلها لنفسه اولا ثم لابناء جنسه ويخلف رب
العزة تعالى ذكره في خلقه بهذه الافعال المرضية فهو شقي ناقص حتى اذا مات وعدم هذه الاشياء صار سعيدا

تام السعادة وارسطاطاليس يحتج بهذا الرأي وذلك انه تكلم في السعادة الانسانية والانسان هو المركب عنده من
بدن ونفس ولذلك حد الانسان بالناطق المائت وبالناطق الماشي برجلين وما اشبه ذلك وهذه الفرقة التي
رئيسها ارسطوطاليس ان السعادة الانسانية تحصل في الدنيا اذا سعى لها وتعب بها حتى يصل الى اقصاها ولما رأى الحكيم
ذلك ان الناس مختلفون في هذه السعادة الانسانية وانها قد اشكلت عليهم اشكالا شديدا احتاج الى التعب الكثير
عنها والى اطالة الكلام فيها وذلك ان الفقير يرى ان السعادة العظمى في الثروة واليسار والمريض يرى انها في الصحة والسلامة
والذليل انها في الجاه والسلطان والخليع يرى انها في التمكن من الشهوات كلها على اختلافها والعاشق يرى انها في
الظفر بالمعشوق والفاضل يرى انها في افاضة المعروف والفيلسوف يرى ان هذه كلها اذا كانت مرتبة بحسب مقتضى العقل هي
عند الحاجة وفي الوقت الذي يجب وكما يجب فهي كلها سعادات وما كان منها يراد لشيء آخر فذلك الشيء احق باسم السعادة ولما
كان لكل واحد من هاتين الفرقتين نظر لما وجب ان نقول في ذلك ما نراه صوابا وجامعا للرأيين فنقول ان الانسان
ذو فضيلة روحانية يناسب بها الارواح الطيبة التي تسمى ملائكة وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الانعام لانه مركب منهما فهو بالجزء
الجسماني الذي يناسب به الانعام مقيم في هذا العالم الجسماني السفلي مدة قصيرة ليعمره وينظمه ويرتبه حتى اذا ظفر بهذه المرتبة
على الكمال انتقل الى العالم العلوي واقام فيه دائما سرمدا في صحبة الملائكة والارواح الطيبة ولا ينبغي ان يفهم من قولنا العالم
السفلي والعالم العلوي ما ذكرناه فيما تقدم فانا قد قلنا هناك انا لسنا نعني بالعلوي المكان الاعلى في الحس ولا بالعالم السفلي
المكان الاسفل في الحس بل كل محسوس فهو سفلي وان كان محسوسا في المكان الاعلى وكل معقول فهو علوي وان كان معقولا
في المكان الاسفل وينبغي ان يعلم انه ليس يحتاج في صحبة الارواح الطيبة اعني المستغنية عن الابدان الى شيء من
السعادات البدنية التي ذكرناها سوى سعادة النفس فقط اعني المعقولات الابدية التي هي بالحقيقة الحكمة فقط فاما ما دام
الانسان انسانا فليس يتم له السعادة الا بتحصيل الحالين جميعا وليس يحصلان على التمام الا بالاشياء النافعة في الوصول
الى الحكمة الابدية فالسعيد اذن يكون من الناس في احدى مرتبتين اما في رتبة الاشياء الجسمانية متعلقا باحوالها السفلى
سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الامور الشريفة باحثا عنها مشتاقا اليها متحركا نحوها مغتبطا بها واما ان يكون في الاشياء
الروحانية متعلقا باحوالها العليا سعيدا وهو مع ذلك يطالع الامور الدنيئة ومعتبرا بها ناظرا في علامات القدرة
الالهية ودلائل الحكمة البالغة مقتديا بها ناظما لها مفيضا الخيرات عليها سابقا لها نحو الافضل فالافضل بحسب قبولها

فيها على غير استطاعتها واى لم يحصل فى احدى هاتين المنزلتين فهو فى رتبة الانعام بل هو اضل وانما صار اضل
لان تلك غير معرضة لهذه الخيرات ولا اعطيت استطاعة يحرك بها نحو هذه المراتب العالية وانما تحرك بقواها نحو الافعال
الخاصة بها والانسان معرض لها مستعد اليها بمزاج الالة فيها وهو متمكن من تحصيلها فاذا لم يحصل لها ولا سعى نحوها وهو مع ذلك متشوق
لضدها يستعمل قواه الشريفة فى الامور الدنية فتلك عصيانه لكما لانها التى يختصها ماذون الانعام اذا منعت الخيرات
الانسية حرمت جوار الارواح الطيبة ودخول الجنة التى وعد بها المتقون فهو معذور والانسان غير معذور
بل مثل الاول مثل الاعمى اذا جار عن الطريق فتردى فى بئر فهو مرحوم غير ملوم ومثل الثانى مثل البصير الذى يمشى على بصيرة
حتى يتردى فى البئر فهو ملوم غير مرحوم **واذ قد** تبين ان السعيد لا محالة فى احدى الرتبتين اللتين ذكرناهما فقد تبين ايضا
ان احدهما انقص مقصر عن الاخرى وان الانقص منهما لا يخلو ولا يتعرى من الالام والحسرات لاجل انخداع الطبيعة والزخارف
التى يتجرعها بلا بينة فيعوقه عما يلاحظه ويمنعه من الترقى فيها على ما ينبغى ويشغله بما يتعلق به من الامور الجسمانية فصاحب
هذه الرتبة غير كامل على الاطلاق ولا سعيد تام وان صاحب الرتبة الاخرى هو السعيد التام وهو الذى يوفر حظه من الحكمة فهو
مقيم بروحانية بين الملاء الاعلى يستمد منهم لطائف الحكمة ويستلين بالنور الالهى ويستزيد من فضائله بحسب عنايته
بها وقلة عوائقه عنها فلذلك يكون ابدا خاليا من الالام والحسرات التى لا يخلو صاحب الرتبة الاولى منها ويكون مسرورا
ابدا بذاته مغتبطا بحاله وبما يحصل له دائما من فيض نور الاول فليس يميل الا الى تلك اللذات ولا يغتبط الا بتلك المحاسن
ولا يهش الا لاظهار تلك الحكمة بين اهلها ولا يرتاح الا لمن ناسبه او قاربه واحب الاقتباس منه وهذه هى الرتبة
التى من وصل اليها فقد وصل الى اخر السعادات واقصاها وهو الذى لا يبالى بفراق الاحباب من اهل الدنيا ولا يتحسر على ما يفوته
من التنعم فيها وهو الذى يرى جسمه وماله وجميع خيرات الدنيا التى عددناها فى السعادات التى فى بدنه الخارجة عنها
كلها كلا عليه الا فى ضرورات يحتاج اليها البدن الذى هو مربوط به لا يستطيع الانحلال عنه الا عند مشية
خالقه وهو الذى يشتاق الى صحبة اشكاله وملاقاة من يناسبه من الارواح الطيبة والملائكة المقربين وهو الذى
لا يفعل الا ما اراده الله منه ولا يختار الا ما قرب اليه ويخالفه الى شئ من هواه وشهواته الردية ولا ينخدع
بخدائع الطبيعة ولا يلتفت الى شئ يعوقه عن سعادته وهو الذى لا يحزن على فقد محبوب ولا يتحسر على فوت
مطلوب الا ان هذه الرتبة الاخيرة يتفاوت الناس فيها تفاوتا عظيما اعنى لمن وصل اليها من الناس

يكونون على طبقات كثيرة غير متقاربة وهاتان المرتبتان هما اللتان ساق الحكيم كلامه اليهما واختار مرتبة الاخيرة منهما وذلك في كتابه المسمى بفضائل النفس وانا اورد القطعة التي نقلت الى العربية بعينها **قال اولا**

رتب الفضائل التي يسمى سعادة ان يصرف الانسان اراداته ومحاولاته الى ما هو مصلحة في العالم المحسوس وفي الامور المحسوسة من امور النفس والبدن وما كان من الاحوال متصلا بذلك ومشاركا له من الامور النفسانية ويكون تصرفه في الامور المحسوسة تصرفا لا يخرج به عن الاعتدال الملائم للاحوال الحسية وهذه حال قد يلتبس فيها الانسان بالاهواء والشهوات الا انه ينفذ في ذلك تنفيذا معتدلا غير مفرط وهو على ما ينبغي اقرب منه الى ما لا ينبغي وذلك انه يجري امره نحو صواب التدبير المتوسط في الفضيلة وما لا يخرج به عن تقدير الفكر وان تلبس بالامور المحسوسة وتصرف فيها **ثم الرتبة الثانية** وهي التي يصرف فيها الانسان اراداته ومحاولاته الى الامر الافضل من صلاح امر النفس والبدن من غير ان يلتبس مع ذلك بشيء من الاهواء والشهوات ولا تكترث بشيء من القنيات المحسوسة الا بما تدعو اليه الضرورة ثم تتزايد رتبة الانسان في هذا الضرب من الفضيلة وذلك ان الاماكن والرتب في هذا الضرب من الفضائل كثيرة بعضها فوق بعض وسبب ذلك **اما اولا** فاختلاف طبائع الناس **وثانيا** على حسب العادات **وثالثا** بحسب منازل الناس ومواضعهم من العلم والمعرفة والفهم **ورابعا** بحسب هممهم **وخامسا** بحسب شوقهم ومعاناتهم ويقال ايضا بحسب جدودهم ثم يكون النقلة من آخر هذه المرتبة اعني هذا الصنف من الفضيلة الى الفضيلة الالهية المحضة وهي التي لا يكون فيها تشوق الى آت ولا تأسف على ماض ولا تطلع الى تلف ولا حرص على قريب ولا خوف ولا فزع من حال ولا شغف بها ولا طلب لحظ من الحظوظ الانسانية ولا من الحظوظ النفسانية ايضا الا ما تدعو الضرورة اليه من حاجات البدن والقوى الطبيعية ولا القوى النفسانية ايضا لكن يصرف الجزء العقلي في اعالي رتب الفضائل وهو صرف الروية الى الامور الالهية ومعاناتها ومحاولتها بلا طلب عوض اعني ان يكون تصرفه فيها ومعاناته ومحاولته لها للنفس ذاتها فقط وفي هذه الرتبة ايضا تتزايد الناس بحسب الهمم والشوق وفضل المعاناة والمحاولة وقوة الخبرة وصحة الثقة وبحسب منزلة من يبلغ الى هذا المبلغ من الفضيلة في هذه الاحوال التي عددناها الا ان يكون متشبها بالعلة الاولى ومقتديا بها وتابعا لها وآخر المراتب في الفضيلة ان تصير افعال الانسان كلها افعالا الهية وهذه الافعال هي خير محض والفعل اذا كان خيرا محضا فليس يفعله فاعله من اجل شيء آخر غير الفعل بنفسه وذلك ان الخير المحض هو غاية متوخاة لذاتها اعني هو الامر المطلوب نفسه المقصود لذاته والامر الذي هو غاية

غاية ولا سيما غاية في غاية النفاسة ليس يمكن ان يطلب بعدها غاية اخرى وانما لم يكن الانسان بالسعادة التامة كان الحكيم يعني
لبابه وذاته الحقيقية التي هي عقله الالهي الذي هو هو بالحقيقة ويفعل بينهما ويشتاق سائر واعني طباع الجسد
بسائر عوارض النفسين البهيميتين وعوارض الجبل التي ادعينا من قبل اعني النفس الشهوية فلا يعوقه عائق عن ارادة و
ما يفعله من اجل ما ليس بفضل الحكمة يتصرف في فعله بلا ارادة ولا حاجة في سلوك اي لا يكون غرضه في فعله غير
ذلك الفعل وهذا هو سبيل الفعل الالهي فهذه الحال التي هي اشرف المنازل التي ينتقل فيها الانسان افعال البارئ
الاول فان الله عز وجل اعظم من ان يكون فيما يفعله ولا يطلب به شيئا او لا جزاء ولا عوضا ولا زيادة لكن يكون
فعله بعينه هو غرضه اي ليس يفعل من اجل شيء غير ذات الفعل وغير ذاته وعنوانه لا افعل ما يفعله من اجل شيء غير
فعله نفسه وذاته نفسه هو العقل الالهي نفسه وهكذا يفعل البارئ تعالى لذاته لا من اجل شيء آخر
خارج عنه وذلك ان فعل الانسان في هذه الحالة تكون كلها خيرا محضا او حكمة محضة يتعاطى الفعل
لنفس الحكمة الفعل فقط لا لغاية اخرى يتبعها ما بالفعل وهكذا فعل الله عز وجل الخاص ليس هو على القصد
الاول من اجل شيء خارج عن ذاته اعني انه ليس ذلك لاجل سياسة الاشياء التي نحن بعضها لانه لو كان ذلك
لكانت افعاله الحقيقية انما كانت ويكون ويتم بمشاركة الامور التي هي خارج لتدبيرها وتدبير احوالها واهتمامه
بها وعلى هذا يكون الاشياء التي هي خارج اسبابا او عللا لافعاله وهذا شنيع منه تعالى الله عنه علوا كبيرا لكن عنايته
عز وجل بالاشياء التي هي من خارج وفعله الذي يدبرها ويدبرها انما هي على القصد الثاني ليس يفعله من اجلها
لنفسها لكن من اجل ذاته وذلك لاجل ان ذاته يتفضل لذاتها لا من اجل التفضل عليه ولا من اجل شيء آخر وهكذا
الانسان اذا بلغ غاية التشبه في الامكان من الاقتداء بالبارئ عز وجل تكون افعاله التي يفعلها على القصد الاول
من اجل ذاته نفسه التي هي العقل الالهي ومن اجل الفعل نفسه وان فعل فعلا يعود بغيره ونفعه به فليس فعله له
على القصد الاول من اجل ذلك الغير لكن فعل ذلك لانه خير وفعله بقصد ثان وفعله ذلك من اجل ذاته بالقصد
الاول ومن اجل الفعل نفسه اعني الفعل الفضيلة والفعل الخير لا من اجل الفضيلة وغير فعل ذلك لنفس الفعل
لا من اجل [illegible] نفع ولا التماس طلب الرياسة ولا محبة الكرامة فهذا هو غرض الفلسفة ينتهي الانسان
فالانسان لا يصل الى هذه الحال حتى يفرغ لها بتكاملها التي حصلها من الخارجية وينفي الامراض النفسانية

ثابت خاطره الذي يكون عن العقل عند تبين سائر الفلسفة قضية واما العقل من ذلك اذا استغنى عن الطبيعة البتة وبقي
منه فقط كاملا الامر حينئذ يستكمل مرتبة الحكمة وصار الفيلسوف يعرف الامور الالهية بمائية من نفسه يحوي فحص معاناته التي هي العقل
كما قد رأيت فيه القضايا الاول التي تسمى العلوم الاوائل العقلية لان تصور العقل في رتبته على هذه الحال الامور الالهية في
بقيته فمن اعني اشرف والطف ولهذا اشد اتحاده وربما امن القضايا الاول التي تسمى العلوم الاوائل العقلية فهذه تمام
هذا الكتاب وقد نقلها فاضلا هو نقل ابي عثمان الدمشقي وهذا الرجل فصيح باللغتين جميعا اعني اليونانية والعربية وهو في النقل
عند جميع من طالع ما بين اللغتين وهو مع ذلك شديد التحري لايراد الالفاظ اليونانية ومعانيها من الالفاظ العربية
ومعانيها حتى لا يختلف في لفظ ولا معنى ومن يرجع الى هذا الكتاب اعني المسمى بفضائل النفس قرا هذه الالفاظ
كلها كما نقلناه ليس يحصل هذه المراتب التي يرتقي فيها صاحب السعادة التامة الا بعد ان يعلم من الحكمة كلها اعمالها
ليستوفيها اولا اولا كما رتبناه في كتابنا المسمى بترتيب السعادة ومن ظن من الناس انه يصل اليها بغير تلك الطريقة
على غير ذلك المنهاج فقد ظن باطلا وبعد عن الحق بعدا كثيرا وليتذكر في هذا الموضع الخطأ العظيم الذي وقع
فيه قوم ظنوا انهم يدركون الفضيلة بتعطيل القوة العاقلة واهمالها وبترك النظر الخاص بالعقل وبتحكيمهم اعمالا بيت
مدنية ولا بحسب ما يقتضيه التمييز والعقل ولذلك رتبنا هذا الكتاب بحسب ذلك الكتاب ليحفظ منها السعادة الاخيرة التي
بالحكمة البالغة ويهذب بها النفس ويبالغ بها كما هو مفصل وتقفيه من الامور الطبيعية شهوات الابدان ولهذا ذلك
سميته ايضا بكتاب الطهارة وقد قال ارسطو في كتابه المسمى بالاخلاق ان هذا الكتاب لا ينتفع به الاحداث كثيرا فقد ولا
من هو في طبيعة الاحداث قال ولست اعني بالحدث حدث السن لان الزمان لا تأثير له في هذا الشيء وانما اعني الذي
يقصد ما اهل الشهوات واللذات الحسية فاما انا فاقول ان ما ذكرت في المرتبة الاخيرة من السعادة للانسان
الاحداث اليها بل ابعد عنهم فقط ولتعلمن انها رتبة حكمية لا يصل اليها الا افاضل [illegible] فليس كل
من نظر في هذا الكتاب التي الاولى منها بالاخلاق التي وصفتها ان يتوق بعد ذلك وما انه الشوق الشديد والحرص
التام ومباشرة ما ذكرنا وحكيناه عن الحكيم [illegible] في الحكمة [illegible] فيها بجهاده [illegible] الله عز وجل بعينه في
فاذا بلغ الانسان الى غاية هذه السعادة [illegible] الكشف دنياه الدنية [illegible] بنفسه الطبيعة التي هي
بتطهيرها [illegible] الاجناس الطبيعية الامور العلية [illegible]

فحينئذ ينزع الى تلك القوى التي كانت تعوقه عن سعادته ولا يشتاق اليها ولا يتعطف عليها ولا يميزه عنها ولم يبق فيه ارادة لها ولا حرص عليها فقد استضاء بالجوهر العالي المبين واتصل كراماته وفيض نوره الذي كان غير مستعد له ولا فيه قبول من عطاياه وآياته حينئذ السيح الذي وعد به المتقون ولا ابرهما سبق الانبياء اليه واشار الى قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي قول النبي صلى الله عليه واله وسلم فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واذ قد تحصلت هاتان المنزلتان من السعادة فقد تبين بيانا كافيا ان احدهما بالانسان اولى والاخرى غاية ومن المحال ان ننسلك في الثانية من غير ان نمر بالاول فقد وجب ان ننحو ابدا نحوه من غير ان نتخطى الاولى من السعادة الى الاخيرة ونستوفي الكلام فيها وفي الاخلاق التي بنينا الكتاب عليها ونتكلم عن بيان الرتبة الثانية وقت لغيرها وقد يتفق ان يحصل من بعض القوى التي ذكرناها دون بعض او في اصلاحها في وقت دون وقت لا يحصل له السعادة وكذلك يكون حال الرجل في تدبير منزله اذا اعتنى ببعض اجزائه دون بعض ووقت دون وقت لم يستحق اسم مدبر منزل وكذلك حال مدبر المدينة اذا اختص بتطلع طائفة دون طائفة او وقتا دون وقت لم يستحق اسم الرياسة على الاطلاق وارسطاطاليس يمثل بان قال ان الخطاف الواحد اذا ظهر لا يدل على طبيعة الربيع ولا يوم واحد معتدل الهواء يبشر بالربيع فسبيل طالب السعادة ان يطلب السيرة اللذيذة عنده فيتشبث بها دائما فان تلك السيرة هي وحدها اللذيذة في نفسها فلذلك قلنا انه ينبغي ان يشوقها دائما ويثبت عليها ابدا ولما كانت السير ثلاثا لانها تنقسم باقسام الغايات الثلث التي يقصدها الناس اعني سيرة اللذة وسيرة الحكمة وكانت سيرة الحكمة اشرفها واعلاها وكانت فضائل النفس كثيرة وجب ان يفضل الانسان بافضلها ويشرف باشرفها فسيرة الافاضل السعداء سيرة لذيذة بنفسها لان افعالهم مختارة وممدوحة وكل انسان يلتذ بما هو محبوب عنده فيلتذ بالعدل العادل ويلتذ بالحكمة الحكيم والافعال الفاضلة والغايات التي ينتهي اليها بالفضائل لذيذة محبوبة والسعادة الذ من كل شيء وارسطو يقول ان السعادة الالهية وان كانت كما ذكرناه من الشرف وهي الذ وابهج من كل شيء فانها محتاجة الى السعادة الاخرى الخارجة لان تظهر بها والا كانت كامنة غير ظاهرة واذا كانت كذلك كان صاحبها كالفاضل النائم الذي لا يظهر فضله فحينئذ لا يكون بينه وبين غيره فرق كما وصفنا من حاله فيما تقدم فالمطلع اذن على حقيقة هذه السعادة المتمكن من اظهار فضله بها هو الذي يلتذ بها وهو الذي يسر سرورا حقيقيا غير ممنوع ولا

مزخرف بالاباطيل وهو الذي يخرج من حد المحبة الى العشق والهيمان حينئذ بالحرى ان يصير سلطانه العالي خادماً

لبطنه وفرجه ولا يجد من اشرف جزء منه لخس جزء فيه واعني بالشر المزخرف بالاباطيل اللذات التي يشترك فيها الحيوانات وهي

ليست بناطقة فان تلك لذات حسية تنصرم وشيكاً وتملها الحواس سريعاً فاذا دامت عليها صارت كريهة وربما

عادت مؤلمة وكان الحس لذة عرضية على ما حققناه فكذلك للعقل لذة ذاتية على ما حققناه فمن لا يعرف اللذة الحقيقية كيف

من لا يعرف الرياسة الذاتية كيف يصبو اليها فلذلك قدمنا وصفها وشوقنا اليها واعدنا الكلام فيها مراراً وقلنا ان من

لا يعرف الخير المطلق والفضيلة التامة ولا يعرف الحكمة العملية اعني ايثار الافضل والعمل به والثبات عليه لا ينشط له

ولا يرتاح اليه ومن كان كذلك فكيف يلتذ او يتنعم بما شرحناه ودللنا عليه وكان للحكماء المتقدمين مثل يضربونه ويكتبونه

في الهياكل وهي مساجدهم ومصلاهم وهو هذا الملك الموكل بالدنيا يقول ان ههنا خيراً وههنا شراً وههنا ما لا خير

ولا شر فمن عرف هذه الثلثة حق معرفتها تخلص مني ونجا سالماً ومن لم يعرفها قتلته شر قتلة وذلك اني لا اقتله قتلا

وحياً ليستريح به مني ولكني اقتله اولاً اولاً في زمان طويل فهذا المثل من نظر فيه وتامله عرف منه جميع ما قدمنا ذكره

وينبغي ان يعلم ان السعيد الذي ذكرنا حاله ما دام حياً تحت هذا الفلك الدائر بكواكبه ودرجاته ومطالع

سعوده ونحوسه سيرد عليه من النكبات والنوائب وانواع المحن والمصائب ما يرد على غيره الا انه لا يتألم منها ولا يجد ما

غيره من المشقة في احتمالها لانه غير مستعد لسرعة الانفعال منها بعادة الهلع والجزع ولا بل اثر الهموم والاحزان بالاشياء

العارضة له وان اصابه من هذه الآلام شيء فبقدر ما لا ينقل عن السعادة الى ضدها بل لا يخرجه عن حد السعادة التامة

بلاء ايوب النبي عليه السلام واضعاف ما اخرجه عن حد السعادة وذلك لما تجد في نفسه من المحافظة على شرائط الشجاعة والصبر

ما يخرج منه اصحاب جسم الطباع فيكون سروره او التذاذه شبيهاً بالاحاديث الجميلة التي تنتشر عنه ويحكى القائل الذي

يدعى السلطان والمصارع الذي يقوى الغلبة كل واحد منهما تصبر على شدائد عظيمة من تحطيم اعضائه

التي يمكن منها طلباً لما يحصل له من الغلبة وانتشار الصيت فيرى نفسه احرى واولى منهما بالصبر اذ كان غرضه اشرف

في الفضلاء اشبه واكرم ولانه يسعد في نفسه بشيء يصير قرة عينه وارسطو يقول ان بعض الاشياء الذي يعرض من سوء البخت

يكون يسيراً سهل المحتمل فاذا عرض للانسان واحتمله لم يكن فيه دلالة على كبر نفسه وعظم همته وبعضها يكون عظيماً

عسير المحتمل فاذا احتمله دل على كبر نفسه وعظم همته ومن لم يكن سعيداً او لا يسعفه رياضته بهذه الصناعة

الصناعة الشريفة من تهذيب الاخلاق فانه سينتفع بنفعها الان بما يعرض له عند حلول المصائب بجسمه حال الذين
اصابهم الاضطراب الفاحش والالم الشديد ولم يخرج بهما الى الحد الذي يخرجهم عن حدهم واما التشبه بالسعداء والجميع
مع عظمهم فيظهر الصبر والسكون الا انه يجزع الباطن متالم الضمير كما ان الاعضاء المفلوجة اذا حركت الى اليمين تحركت
الى الشمال كذلك يكون حركات نفوس الاشرار يتحرك الى خلاف ما يحملون مما عليه من الجميل اعني انهم اذا
تشبهوا بالاعفاء وتعاطوا افعالهم تحركت الى ضد ما حملوها عليه واذا تشبهوا بالاجواد واهل العدالة كانت
هذه حالهم ومما استدل به من كتاب ارسطاطاليس على انه كان يقول ببقاء النفس بالمعاد كلامه المتدارك في
كتاب الاخلاق وهو هذا قال قد حكمنا ان السعادة شئ ثابت غير متغير وقد علمنا ايضا ان الانسان
قد يلحقه تغيرات كثيرة واتفاقات شتى فانه قد يمكن فيمن هو ارغد الناس عيشا ان يصاب بمصائب ما علمها فليس يسمى احد من
الناس سعيدا فليس ينبغي على هذا القياس ان يسمى انسان من الناس سعيدا ما دام حيا بل ينتظر به آخر عمره ويحكم عليه
فالانسان اذن انما يصير سعيدا اذا مات الا ان هذا قول في غاية الشناعة اذ كنا نقول ان السعادة هي فعل
ما ثم قال وفي هذا الموضع ايضا موضع شك فانه يظن بالميت انه يلحقه خير وشر اذ كان يلحق الحي ايضا وهو لا يحس به
مثل الكرامة والهوان واستقامة امر الاولاد والاحوال الاولاد ثم الشقاء فقد في هذه الاشياء حيرة لانه قد يمكن فيمن عاش عمره
كله الى ان يبلغ الشيخوخة سعيدا وتوفي على هذا السبيل ان يلحقه مثل هذه التغيرات في اولاده حتى يكون بعضهم
خيارا حسني السيرة وبعضهم بضد ذلك ومن البين انه قد يمكن ان يوجد بين الاباء والاولاد تباين واختلاف
بكل جهة ولكن من المنكر ان يكون الميت يتغير بتغيرهم فيصير مرة سعيدا ومرة اخرى شقيا ومن المنكر ان لا يكون امور
الاولاد متصلة بالوالدين في وقت من الاوقات ولكن ينبغي ان يعود الى ما كان الشك ولتعاقبه فهذا الشك
الذي اوجبه على نفسه في هذا الموضع هو شك من يعتقد ان للانسان بعد موته احوالا وانه سيتصل به احوال
من امر اولاده واولاد اولاده احوال مختلفة بحسب اختلاف سير الاولاد فكيف يقول ليت شعري ان الانسان
اذا مات سعيدا ثم لحقه من شقاء بعض اولاده ومن سيرته سيرة سيئة من يحب من نسله ما كان ضد
سيرته وهي خلاف خير سعادته كان هذا شقيا وان لم يلحقه شئ من ذلك كان ايضا شنعا ثم ان ارسطو اما
يحل هذه الشكوك بان يقول ما هذا معناه ان سيرة الانسان ينبغي ان يكون محمودة لانه يختار به كما

يعرض له افضل الافعال من الصبر عليه ومن اختيار الافضل فالافضل مرة ومن التصرف في الامور اذا اتسع فيها او حسن
التحمل اذا اعوزه فانه يكون سعيدا في جميع احواله غير منتقل عن السعادة بوجه من الوجوه فالسعيد اذا ورد عليه حظ عظيم جميل
سيرته اكثر سعادة لانه يزداد به مدارات جميلة ويصبر على الشدائد والمحن صبرا حسنا ومتى لم يفعل ذلك كدرت سعادته
ونغصها عليه وجلبت له احزانا وغموما يعوقه عن افعال كثيرة والجميل اذا ظهر من السعيد في هذه الاحوال كان اشد
اشراقا وحسنا وذلك اذا احتمل المرء عظيم المصائب احتمالا سهلا لا بعد ان لا يكون ذلك لعدم حسه والنقصان
فهمه بالامور بل لشهامته وكبر نفسه قال واذا كانت الافعال هي ملاك السيرة كما قلنا فليس يكون احد من السعداء
شقيا لانه ليس يفعل في وقت من الاوقات افعالا مرذولة فاذا كان هذا هكذا فالسعيد يكون ابدا مغبوطا وان
حلت به المصائب التي حلت بفريامس فلا يكون شقيا ولا سريع التنقل وذلك انه ليس مما لا ينتقل عن السعادة
بسهولة ولا ينقله عنها الافات اليسيرة لكنه لا ينقله الافات العظيمة الكثيرة وليس مما يكون سعيدا اذا نالته هذه
الامور زمانا يسيرا بل اذا ظفر بامور جميلة في زمان طويل ثم قال بعد ذلك فاما حال الانسان بعد موته
فان القول بان الافات التي تعرض لاولاد الميت واصدقائه باجمعهم ليس يتعلق به اصلا هو قول غير مقبول اصلا
وهو مضاد لما يعتقده جميع الناس اذا كانت الامور العارضة لهؤلاء كثيرة مختلفة وكان بعضها يتعداهم الى الميت
اكثر وبعضها اقل صارت قسمتنا اياها الى الاشياء الجزئية بلا نهاية فاما اذا قلنا قولا كليا وعلى طريق الرسم فخليق
ان نكتفي بما نقوله فيها وهو انه كما ان الافات التي تعرض الميت في حياته بعضها يثقل عليه احتماله ويؤثر في سيرته
وبعضها يخف عليه احتماله كذلك يكون حاله فيما يعرض لاولاده واصدقائه وكل واحد من العوارض التي تعرض
للاحياء مخالف لما تعرض لمن قد ماتوا اكثر من مخالفة كل ما يضرب به المثل ويشبه ان يكون اذا انتهى الى
اليهم من هذه الاشياء شيء خيرا كان او شرا ان يكون يسير الاثر والمقدار مما لا يجعل غير السعيد سعيدا ولا ينزع
السعادة من السعداء فهذا حل ارسطاطاليس الشك الذي اورده **ولما قلنا** ان السعادة الذ الاشياء و
افضلها واجودها لحقنا ان نبين وجه اللذة فيها بايجاز لما قلنا فيما مضى وبالله التوفيق **فنقول** ان اللذة تنقسم
قسمين احدهما لذة انفعالية والاخرى لذة فعلية اي فاعلية واما اللذة الانفعالية فهي شبيهة بلذة الاناث [illegible]
يشبه لذة الذكور ولذلك صارت اللذة الانفعالية هي التي يشاركنا فيها الحيوانات التي ليست بناطقة [illegible]

مقترنة بالشهوات ومحبة الانتقام وهي انفعالات النفسين البهيميتين واما اللذة الاخرى فهي الفاعلة وهي التي يختص
بها الحيوان الناطق ولانها غير هيولانية ولا منفعلة انفعالا بها صارت لذة تامة وتلك ناقصة وهذه ذاتية وتلك
عرضية ونعني بالذاتية والعرضية ان اللذات الحسية المقترنة بالشهوات تزول سريعا وتنقضي وشيكا بان تتغلب ذاتها
فتصير غير لذات بل يصير الاما او مكروهة شنعة مستقبحة وهذه اضداد اللذة ومقابلاتها واما اللذة الذاتية
فانها لا تصير في وقت من الاوقات غير لذيذة ولا تنتقل عن حالتها بل هي ثابتة ابدا واذا كانت كذلك فقد صح حكمنا ونحن ان
السعيد يكون لذته ذاتية لا عرضية وعقلية لا حسية وفعلية لا انفعالية والهية لا بهيمية ولذلك قال الحكماء المجربون
ان اللذة اذا كانت جميلة ساقت البدن من النقص الى التمام ومن السقم الى الصحة ولذلك ايضا تشوق النفس
الى العلم ومن الرذيلة الى الفضيلة الا ان ههنا سرا ينبغي ان يقف عليه المتعلم وهو ان ميل الطبع الى اللذة الحسية
ميل قوي جدا وشوقه اليها شوق مزعج شديد وليس يزيد العادة في قوة طبع لنا كثير زيادة لفرط ما جبلنا عليه في
المبدأ من القوة والشوق فلذلك متى كانت اللذة حسية قبيحة ثم مال الطبع اليها بافراط والفعل منها سيتحسن القوة وا
الانسان فيها كل قبيح وهون على نفسه منها كل صعب ولم ير موضع الغلط ولا امكان القبيح حتى يبصر الحكمة فاما اللذة العقلية
الجميلة فامرها بالضد وذلك ان الطبع يكرهها فان انصرف الانسان اليها لمعرفته وتبيين احتياجه اليها الى صبر ومؤونة
حتى اذا استبصر فيها وتدرب بها انكشف له حسنها وبهاؤها وصار بالضد مما كان في الحسي من سيئها تبين ان الانسان
في ابتداء كونه محتاج الى سياسة الوالدين ثم الى الشريعة الالهية والدين القيم حتى يهذبه ويقومه ثم الى الحكمة البالغة
ليتولى تدبيره الى اخر عمره فقد تبين مع ذلك تعلق السعادة بالجود وذلك انا قد بينا انها لذة فاعلة ولذة الفاعل ابدا
يكون في الاعطاء ولذة المنفعل ابدا يكون في الاخذ وليس يظهر ابدا لذة السعيد الا بابراز فضائله واظهار حكمته في
وضعها في مواضعها وكان الكاتب الجيد انما يلتذ باظهار كتابته وكذلك البناء الحاذق اللطيف والمحسن والموسيقار
فبالجملة كل صانع حاذق فاضل في صناعته يسر باظهار فضائله واذاعتها بين اهلها ومستحقيها وهذا هو معنى الجود
وحقيقته الا ان الجود على الاشياء باكرمها افضل واشرف من الجود بادونها واخسها وقد عرض لهذا الجود مع شرفه
وعلو رتبته ضد ما عرض لذلك الجود الاخر من ندرته وقلته وذلك ان اصحاب الاموال والقنيات الخارجة ينقص ماله
بالانفاق ويتثلم بالبذل ويفنى ذخائره بالتبذير واما صاحب السعادة التامة فان امواله لا ينتقص بالانفاق بل

لا يفنى ولا خاثر بالتبذير بل يحمى من تلك معرضة للآفات الكثيرة من الاعداء واللصوص وسائر المتسلطين فهذه معرضة
من كل لغو ولا سبيل للاشرار اليها بوجه ولا بسبب فقد ظهرت لذة السعيد كيف تكون ومن اين تبتدئ ومن اين تنبع وكيف تكون
الشريف الحقيقي واللذة الذاتية **وتبين** ايضا انها ابدية وتامة الهية وان ضدها الذي هو الشقاء لذاته بالضد على
العكس اعني ان لذاته كلها عرضية ومستقلة عن طباعها الى اضدادها حتى تصير مولمة او مكروهة وانها غير الهية بل شيطانية
وغير محمودة بل مذمومة وبقي ان ننظر في السعادة هل هي ممدوحة قال ارسطو طاليس ان الاشياء التي هي في غاية الفضل
لا يوجد لها مديح لانها افضل واجل من ان يمدح قال وذلك انا ننسب المتألهين والجياد من الناس الى السعادة وليس
يوجد احد من الناس يمدح السعادة نفسها كما يمدح العدل لكنها يجلها ويكرمها جعل انه امر الهي فالاشياء التي هي
افضل من المدح الله والخير وذلك ان سائر الاشياء الفاضلة انما يمدح بان ينسب الى الله والى الخير لان المدح انما
هو للفضيلة والعمل بها انتهى كلامه هذا الى ان قال فالله تعالى اكرم واشرف من ان يمدح بل انما يمجد ونحن نحمده تعالى
ونقدسه ونمجده كثيرا فاما السعادة فلانها امر الهية فانما يفعل الاشياء كلها لاجلها فهي لذلك ممجدة فهل هذا الاصل
ينبغي ان لا يمدح السعادة لانها اجل من كل مديح بل نمجدها في نفسها ونمدح الامور كلها بها وبقدر قسطها منها

تمت المقالة الثالثة من كتاب تهذيب الاخلاق وهو طهارة النفس

قد قلنا فيما سلف ان السعادة تظهر في الافعال من العدالة والشجاعة والعفة وسائر ما تحت هذه الانواع التي احصيناها
وعددناها وهذه الافعال قد تظهر ممن ليس بسعيد ولا فاضل وذلك انه قد يعمله بعض الناس عمل العدول وليس بعادل
ويعمل عمل الشجعان وليس بشجاع ويعمل عمل الاعفاء وليس بعفيف ومثال ذلك ان من ترك الشهوات من المآكل و
المشارب وسائر اللذات التي ينهمك فيها غيره اما لانه ينتظر منها اكثر مما يحضره واما لانه لم يعرفها ولم يباشرها كالقرويين
الذين يبعدون عن المدن وكالرعاة في البوادي وقلل الجبال واما لانه استشرفها من بينا ولما حكم عليها بالتخمة لبشمها
واما لانه ممنوع منها فان هؤلاء كلهم يعملون عمل الاعفاء وليسوا باعفاء فان العفيف على الحقيقة من وفى العفة
حدها المذكور فيما تقدم واختارها لنفسها لا لغرض آخر غيرها واثرها لانها فضيلة ثم تناول كل واحد من
شهواته بمقدار الحاجة ومن الوجه الذي ينبغي وعلى الحال التي ينبغي وكذلك مثال الذي يعمل عمل الشجعان وهو
ليس بشجاع وذلك ان من باشر الحروب واقدم على ركوب الاهوال لبعض ما يوصل اليه بالمال او لبعض الرغبات

الرغبات التي لا تحصى فان مثل هذا لا يعمل عمل الشجعان ولكن يعمل بطبيعة الشره لا بطبيعة الفضيلة التي تدعى
شجاعة وكل من كان اكثر شرها فربما كان اكثر شجاعة وذلك انه يخاطر بنفسه الشريفة في ركوب الهلكات العظيمة طمعا
في المال وفيما يصل اليه بالمال وقد رأينا اهل الشطارة يعملون عمل الاعفاء عمل الشجعان وهم ابعد الناس من كل فضيلة
وذلك انهم يصبرون عن الشهوات كلها ويصبرون على عقوبات السلاطين وضرب السياط وتقطيع الاعضاء والمثلة
التي لابد منها وينتهون فيه الى اقصى الصبر حتى الصلب وسمل العيون وقطع الايدي والارجل ويضرب بهم المثل الجليل الاسم
الذكر بين قوم في مثل ما هم من سوء الاختيار ونقصان الفضائل وقد يعمل ايضا عمل الشجعان من يخاف ولايته خشية
او عقوبة سلطانه او خوف سقوط جاهه او ما اشبه ذلك وقد يعمل عمل الشجعان ايضا من اتفق له مرارا كثيرة ان يغلب
اقرانه فهو يقدم ثقة منه بالعادة الجارية جهلا بمواقع الاتفاقات وقد يعمل عمل الشجعان العشاق وذلك انهم يركبون
الاهوال في طلب المعشوق لرغبتهم في الفجور وبحرصهم على منفعة العين منهم لا لطلب الفضيلة ولا الاختيار للموت الجميل على
الحياة الردية كما يفعل الشجاع بالحقيقة فاما شجاعة الاسد والفيل واشباههما من الحيوان فانه يشبه الشجاعة وليست
بشجاعة حقيقية وذلك انها قد وثقت بقوتها وانما تعرف فوق غيرها فهي تقدم لا بطبيعة الشجاعة بل بتمام القدرة
والقوة وثقة النفس بالغلبة وما كان منها سبيلها فهو مع هذه الحال بالحالة في السلاح الذي عدمه غيره ومن كونها
السلاح مثالها اقدم على الاعزل وليست هذه شجاعة هذا مع عدم الاختيار الذي يستعمله الشجاع وذلك ان
الشجاع خوفه من الامر القبيح اشد من خوفه من الموت فلذلك يختار الموت الجميل على الحياة القبيحة على ان لذة الشجاع
ليست تكون في مبادي اموره فان مبادي الامور تكون مؤذية له ولكنها تكون في عواقب الامور وايضا بامته
منه عن بعد وعلى سيما اذا حامى عن دينه وعن اعتقاده الصحيح في وحدانية الله عز وجل والشريعة التي هي سياسة الله
وسنته العادلة التي بها مصالح العباد في الدنيا والاخرة فان مثل هذا اذا فكر في قصر مدته وعلم انه لا محالة
سيموت بعد ايام قلائل ثم كان صبا بالجميل ثابتا على الراي الصحيح فهو لا محالة يحامي عن دينه ويمنع العدو
عن استباحة حريمه والتغلب على مدينته ويانف من الفرار ويعلم ان الجبان انما اختار الفرار لانه انما استبقى
شيئا لا محالة فانيا زائلا وان تاخر اياما معدودة ثم هو في هذه الحياة اليسيرة ممقوت مستهجن وكذا الشجاع
بالذلك يضرب الصبر به وهذه حالة الشجاع مع قوى نفسه اعني مقاومته لشهواته واستذلالها وان يعا

تلك الحال بعينها واسمع كلام الامام الاجل سلام الله عليه الذي سئل عن حقيقة الشجاعة فقال عليه السلام
ايها الناس الكريم لا تقتلوا عدوا والذي نفس ابن ابي طالب عليه السلام بيده لالف ضربة بالسيف اهون علي من موتة
على الفراش ومن عرف حد الشجاعة تبين له ان جميع ما احصيناه الان ليس بشجاعة فيها وانما يشبهها بالصورة
وذلك انه ليس كل من تقدم على الاهوال فهو شجاع ولا كل من خاف من الفضائح فهو شجاع وذلك من لا يفزع ممن
طرفه او فضيحة حرمه او عند حدوث الرجفات والزلازل والصواعق ومن الزمانة في الامراض او عدم الاخوان
والاصدقاء او عند اضطراب البحر وهيج الامواج وهو بينها فهو بان يوصف بالجنون مرة وبالوقاحة مرة اولى من
ان يوصف بالشجاعة وكذلك من خاطر بنفسه في وقت الامن والطمانينة بان يثب من سطح عال او يصعد
من حائط صعب او يحمل نفسه على خوض ماء غزير وهو لا يحسن السباحة او يساور خيلا لا يملكها او يتولى صعبا او يركب
ما لم يرض من غير ضرورة تدعوه الى ذلك بل مراءاة بالشجاعة واظهار الجرأة فان مثل هذا بان يسمى متهورا
احمقا اولى منه بان يسمى شجاعا فاما من حقق نفسه خوفا من العقر والذل واهلكها بالسم واشبهه مما يصير
اليه فهو بان يوصف بالجبن اولى منه بان يوصف بالشجاعة وذلك ان الاقدام وقع منه بطبيعة الجبن
لا بطبيعة الشجاعة فان الشجاع يصبر على ما يمكن من الشدائد صبرا جميلا ويعمل اعمالا تليق بتلك الحال كما شرحنا
فيما تقدم ولذلك يجب ان تعظم الشجاع وتثني على نفسه وحقيق على السلطان خاصة والقيم بامر الدين والملك
ان ينافس فيه ويجل مقامه ويعلي خطره ويميزه من كل من يتشبه به ممن ذكرنا **فقد تبين** من جميع
ما قلناه ان الشجاع هو الذي يستهين بالشدائد في الامور الجليلة ويصبر على الاحوال الهائلة ويستخف
بما يستعظمه عوام الناس حتى بالموت لاختيار الامر الافضل ولا يحزن على ما لا درك فيه ولا يضطرب
عند ما يفدحه من المصائب ويكون تغضبه بالغضب بمقدار ما يجب وعلى من يجب وفي الوقت الذي يجب كذلك
يكون انتقامه على هذه الشرائط فان الحكماء قالت ان من لا ينتقم لجمة فذلول ومن انتقم فوق حقه فمن الظلم
وهذا الانتقام اذا كان بحسب الشجاعة كان محمودا واذا لم يكن كذلك كان مذموما **وقد نقل** الينا من الاخبار
المأثورة عن اقوام من سلطان قوي كان ان ينتقم ممن ما هو في نفسه حيوان يغضب ويحدث انكارا
وكذا حال من اقدم على قريب او صمم الذي لا يستطيع مقاومته فان الانتقام منه يعد من الاعجوبة وزيادة في الفعل

الجبن فإذن ليس يقترن لفظ الشجاعة والعفة الا بالحكمة الذي يستعمل كل شي في موضعه الخاص وبقدر ما يقتضيه العقل فليس
كل شجاع عفيف حكيماً فكل حكيم شجاع عفيف وهذه الخصال بعينها تظهر فيمن عمل عمل الاسخياء وليس بسخي
وذلك ان من بذل ماله في شهواته او طلباً للسمعة والرياء وتقرباً الى السلطان او لدفع مضرة عن نفسه وحرمه
او اولاده او بذلها لمن لا يستحق من اهل الشر والمطربين والمساخرة او بذلها للطمع في اكثر منها على سبيل التجارة والمرابحة
فكلهم لا يعمل عمل الاسخياء وليس بسخي اما بعضهم فبذل ماله لطبيعة الشر واما بعضهم فلطبيعة الطرمذة
والرياء واما بعضهم فلطمع في الازدياد من المال والربح منه واما بعضهم فعلى سبيل التبذير وقلة المعرفة بقدر
المال وهذا اكثر ما يعرض للوارث ومن لا يتعب باكتساب المال ولا يعرف صعوبة الامر فيه وذلك ان المال
صعب الاكتساب سهل الانفاق وقد شبه الحكماء من يحمل اثقالاً الى قلة جبل ثم يرسله فان الامر في رفعه
واصعاده صعب وفي ارساله هين ومن هنالك امر من يحتاج الى المال ضرورة في العيش ومنافع في اظهار الحكمة وفي بعض الفضائل
ومن كسبه من وجهه صعب عليه وذلك ان المكاسب الجميلة قليلة ووجوهها يسيرة عند الرجل العادل الحر فاما غير العادل
فليس يبالي كيف اكتسبه ومن اين وصل اليه ولاجل ذلك يوجد كثير من الاحرار الفضلاء ناقص الحظ منه ويوجد
ايضا اضدادهم بالضد منه فاما اضدادهم فلاجل انهم يكتسبون المال من جميع الجهات ولا يبالون كيف وصلوا
اليه فهم يجدونه ابدا واوفر الحظوظ منه واسوأ النفقات شاكرين بحظوتهم والعامة يغبطونهم ويحسدونهم لان
العاقل اذا رجع الى نفسه فهو يرى من الدناءات تعرض من السرقات لم يتدنس بالقبيح من المكاسب ولم ينظر الى
خيانة ولا سرقة ولا ظلم لمن هو دونه او مثله ولا يكتسب وجوه الفساد والفضائح كالقيادة والخداع وبيع السلع القبيحة
على الملوك ليستنزل الغر عن امواله بالخدع والمكر ومساعدتهم على الفواحش وتحسين القبائح مما يانف منه الحر وما يجري
مجرى ذلك من الشرائع الشنيعة والخسيسة ونحو ذلك من الاسباب التي يكتسب بها الاراذل المال من غير وجهه من ضروب الخنا
ويوجد الظالم يسترخصه ويتبجح من المال بالزيادة والكثرة فلا يلوم الحر صاحب الا بنقص المال ولا يحسد اصحاب
الاموال المكتسبة من وجوهها الخبيثة فقد علم ان المكتسبين للاموال وحفظتها وكذلك حال من يعمل عمل
السخي وليس بسخي وذلك انه اذا اعطى بعض الاشرار او الاراذل ليتوصل به الى كرامة او منال او اخذ شي من تلك
الشهوات [illegible] لم يكن فعله لاجل الفضيلة [illegible] الذي يقصد فينبغي

ان ينسب فعله الى خرجه فانه يحب مثل ذلك كما قلنا وشرحنا واما العدل بالحقيقة فالذي يعدل ترتيب الاشيا

واحواله كلها حتى لا يزيد بعضه على بعض ثم ثم يرد اليه ما خارج عنه من العدالة في الكرامات ويقصد في جميع حالات

فضيلة العدالة نفسها لا غرضا اخر سواها وانما يتم له ذلك اذا كانت له هيئة نفسانية اديبة يصدر عنها افعاله كلها

ولما كانت العدالة متوسطا بين طرفين وهيئة يقتدر بها على رد الزائد والناقص اليه صارت اتم الفضائل واشبهها

واعني بذلك ان الوحدة هي التي لها الشرف الاعلى والرتبة القصوى وكل كثرة لا ينظمها معنى يوحدها فلا قوام لها لا

والزيادة والنقصان والكثرة والقلة هي التي افسدت الاشياء اذا لم يكن بينها مناسبة يحفظ عليها الاعتدال بوجه ما الا

هو الذي يردها الى ظل الوحدة ومعناها وهو الذي يلبسها شرف الوحدة ويزيل عنها رذيلة الكثرة والتفاوت والاضطراب

الذي لا يحد ولا ينضبط بالمساواة التي هي خليقة الوحدة في جميع الكثرات واشتقاق هذا الاسم يدلك على معناه

ان العدل في الاعمال والاعتدال في الانفعال والعدل في الافعال مشتقة من معنى المساواة والمساواة هي

اشرف النسب المذكورة في صناعة الموسيقى وغيرها ولذلك لا ينقسم ولا يوجد لها انواع وانما هي وحدة في معناها

او ظل الوحدة فاذا لم نجد المساواة التي هي المثل بالحقيقة في الكثرة عدلنا الى النسب المذكورة التي يحيل اليها ويرد اليه

حقيقتها وغاية انا حينئذ نضطر الى ان نقول نسبة هذا الى هذا كنسبة هذا الى هذا ولهذا لا يوجد النسب الا بين

اربعة او ثلاثة يتكرر فيها الوسط فيصير ايضا اربعة والنسبة الاولى تسمى منفصلة والثانية تسمى متصلة ومثال

الاولى انا ناخذ الاولى اربعة فنقول نسبة ا الى ب كنسبة ح الى د فهذه النسبة منفصلة ومثال الثانية

ان ناخذ الباء مشتركا فنقول نسبة ا الى ب كنسبة ب الى ح وهذه النسبة توجد في ثلثة اشياء وهي النسبة العددية

والنسبة المساحية والنسبة التاليفية وجميع ذلك مبين مشروح في الفصل الذي عملناه في صناعة الارثماطيقي وفيها

سائر النسب الراجعة اليها ولذلك عظمها الاوائل واستعملوها في العلوم التعليمية الشريفة ولما كانت المساواة عزيزة الاشياء

الوجود علمنا ان حفظ هذه النسب الاخيرة في الامور الكثيرة التي لا تبقى الا بها عائدة اليها فنقول ان العدالة

الجامعة تجتمع في قسمة الاموال والكرامات والثاني في قسمة المعاملات الارادية كالبيع والشرى والمعاوضات والثالث في قسمة الاشياء

التي وقع فيها ظلم وتعد واما العدل في الامور التي تكون في القسمة الاولى فيكون بالنسبة المنفصلة التي بين الاربعة

اعني ان يكون نسبة الاول الى الثاني كنسبة الثالث الى الرابع مثال ذلك ان يقال ان نسبة ...

الانسان الى هذه الكرامة او الى هذا المال كنسبة كل من كان فى مثل مرتبته الى مثل قسطه فاذن يجب ان توفر
عليه ويسلم اليه فاما الامور التى تكون فى القسم الثانى اعنى المعاملات فيكون بالنسبة المنفصلة مرة وبالنسبة المتصلة
اخرى مثال ذلك ان نقول ان نسبة هذا البزاز الى هذا الاسكاف كنسبة هذا الثوب الى هذا الخف ثم ليس يمنع
مانع ان نقول ان نسبة البزاز الى الاسكاف كنسبة الاسكاف الى النجار ونقول نسبة الثوب الى الخف كنسبة الخف الى الكرسى
ويتبين لك من هذين المثالين ان النسبة الاولى تكون بالعمق فقط والنسبة الثانية بالعرض والعمق جميعا اعنى
ان الاولى تقع بين الكليين والجزئيين فهو بالعمق اشبه وذلك ان الانسان متى كان على نسبة من انسان آخر فبطل هذه النسبة
بحيف وضرر لحقه به فان العدالة توجب ان يلحق به ضررا مثله ليعود التناسب الى ما كان عليه فالعادل من شانه ان يساوى
بين الاشياء غير المتساوية مثال ذلك ان الخط اذا قسم بقسمين غير متساويين نقص من الزائد وزاد على الناقص
حتى يحصل له التساوى ويذهب عنه معنى القلة والكثرة اعنى الزيادة والنقصان وكذلك الخفة والثقل وجميع ما اشبه ذلك
ولكن ينبغى ان يكون عالما بطبيعة الوسط حتى يرد الطرفين اليه مثال ذلك الربح والخسران فانهما فى باب المعاملات
طرفان احدهما زيادة والآخر نقصان فان اخذ اقل مما يجب صار الى جانب النقصان وان اخذ اكثر مما يجب كان
خارجا الى جانب الزيادة والشريعة هى التى ترسم فى كل واحد من هذه الاشياء التوسط والاعتدال ولان الناس
هم مدنيون بالطبع ولا يتم لهم عيش الا بالتعاون فبعضهم يجب ان يخدم بعضا وياخذ بعضهم من بعض ويعطى
بعضهم بعضا فهم يطلبون المكافاة على المناسبة فاذا اخذ الاسكاف من النجار عمله واعطاه عمله فهو المعاوضة اذا
كان العملان متساويين ولكن ليس يمنع مانع ان يكون عمل الواحد خيرا من عمل الآخر فيكون الدينار بين المقوم
او المساوى بينهما فالدينار هو عدل ومتوسط الا انه ساكت والانسان الناطق هو الذى يستعمل ويقوم به
جميع الامور التى تكون بالمعاملات حتى تجرى على استقامة ونظام ومناسبة صحيحة عادلة فلذلك يستعان
بالحاكم الذى هو عدل ناطق اذا لم يستقم الامر بين الخصمين بالدينار الذى هو عدل ساكت وارسطو يقول
ان الدينار ناموس عادل ومعنى الناموس فى لغته السياسة والتدبير وما اشبه ذلك فهو يقول فى
كتابه المعروف بنيقوماخيا ان الناموس الاكبر هو من عند الله تبارك وتعالى والحاكم ناموس ثان من قبله و
الدينار ناموس ثالث فناموس الله تعالى قدوة النواميس يعنى الشريعة والحاكم الثانى مقتد به والدينار مقتد ثالث

وانما قومت الاشياء المختلفة بالاثمان المختلفة ليصح المشاركات والمعاملات وتبين ان الاخذ والعطاء بين
هو الذي يساوي بين المختلفات ويزيد شيء وينقص آخر حتى يحصل بينهما الاعتدال فيستوي المعاملة بين الفلاح والحائك
مثلا وهذا هو العدل المدني وبالعدل المدني حفظت المدن وبالجور المدني خربت المدن وليس شيء انفع من ان يكون له
يسير يساوي عملا كثيرا ومثال ذلك ان المهندس يتفكر وينظر قليلا ولا يعمل الا يسيرا يساوي نظره هذا عملا كثيرا من
القوام يكدون بين يديه ويعملون ما يامرهم وكذلك صاحب الجيش يكون تدبيره ونظره يسيرا ولكنه يساوي اعمالا كثيرة تجري من
بين يديه ويعمل الاعمال الثقيلة العظيمة فالجائر يبطل التساوي وهو عند ارسطاطاليس على ثلاث مراتب فالجائر
الاعظم هو الذي لا يقبل الشريعة ولا يدخل تحتها والجائر الثاني هو الذي لا يقبل قول الحاكم العادل في معاملاته و
اموره كلها والجائر الثالث هو الذي لا يكتسب وينصب الاموال فيعطي نفسه اكثر مما يجب وغيره اقل مما يجب قال
فالمتمسك بالشريعة يعمل بالطبيعة المساواة فيكتسب الخير السعادة من جهة العدالات لان الشرع يامر بالاشياء المحمودة لانه
صنعه ناموس يعمل الانسان بالخير الا الاشياء التي تفعل السعادة وهو ايضا ينهى عن الرذالات البدنية ويامر ايضا بالشجاعة و
حفظ الترتيب والثبات في صف الجهاد ويامر بالعفة وينهى عن الفسق والافتراء والشتم والفجور وبالجملة يامر بجميع الفضائل وينهى عن
جميع الرذائل فالعادل يستعمل العدالة في ذاته وشركائه المدنيين والجائر يستعمل الجور في ذاته وفي اصدقائه وفي جميع شركائه
المدنيين قال وليست العدالة جزءا من الفضيلة بل هي الفضيلة كلها والجور الذي هو ضدها جزءا من الرذيلة لكنها
الرذيلة كلها فبعض انواع الجور ظاهر يفعل بالارادة مثل ما يكون في البيع والشري والكفالات والقرض والعواري
وبعضها خفي يفعل ايضا بالارادة مثل السرقة والفجور ومثل [illegible]ابادة وخداع المماليك وشهادة الزور وبعضها يفعل
على سبيل التغلب مثل التعذيب بالرهن والقيد والاغلال والغربة فالامام العادل الحاكم بالشريعة يبطل هذه
الانواع يخلف صاحب الشريعة في حفظ المساواة فهو لا يعطي ذاته من الخيرات اكثر مما يعطي غيره ولذلك قيل في الخبر
ان الخلافة تظهر الانسان قال فاما العامة فانهم يؤهلون لمرتبة الامامة اعني الخلافة من كان شريفا
في جنسه ونسبه وبعضهم يؤهل لذلك من كان حكيما فاضلا فان الحكمة والفضيلة هي التي تعطي الانسان
الرياسات والسيادات الحقيقية وهي التي رتبت الاول والثاني في مرتبتهما وفضيلتهما واسباب المضرات كلها
تنقسم الى اربعة انواع احدها الشهوة ويتبعها الرجاء والثاني الشرارة ويتبعها الجور والثالث الخطا لم

يحصل فيها الحزن والرابع الشقاء وينبغي ان نبين مثالا للجهات في الشهوة فانها تحمل الانسان على الاضرار بالغير الا انه
لا يكون قد قصد له ولا ملتذا به لكنه يفعل ليصل الى شهوته وربما كان متألما به كارها له الا ان قوة الشهوة تحمله
على ارتكابها بل يكتسب اما الشرير فانه يقصد الاضرار بالغير على سبيل الايثار له والالتذاذ به كمن يسعى الى السلطان
ويقول له ان فلانا قد ... لا يصل اليه منها شيء لكن يلتذ بالمكروه الذي يصل الى غيره واما الخطأ فان صاحبه لا يقصد
الاضرار بالغير ولا يؤثره ولا يلتذ به بل يقصد فعلا ما فيعرض منه فعل اخر وصاحب الفعل يحزن ويكتسب لما اتفق عليه
من الخطأ واما الشقاء فصاحبه لا يكون مبدأ فعله ولا له فيه صنع بالقصد لكن يقع فيه بسبب اخر من خارج
وذلك لمن يصدم بدابته انسانا صديقا له فيقتله او يرمي بسهم الى صيد فيصيب انسانا فهذا يسمى شقيا
وهو مرحوم معذور لا يجب عليه عتب ولا عقوبة فاما السكران والغضبان والغيران اذا فعلوا فعلا قبيحا فانهم
يستحقون العتب والعقوبة لان مبدأ اضطرارهم فيه الشأن السكران يختار ازالة عقله والغضبان والغيران
يختاران الانقياد لما بين القوتين اذا اهاجتا به ونعود الى ما كنا فيه من ذكر العدالة **فنقول** ان ارسطو
قسم العدالة الى ثلثة اقسام احدها ما يقوم به الناس لرب العالمين وهو ان يجري الانسان فيما بينه
وبين الخالق عز وجل على ما ينبغي بحسب ما يجب وكما يجب عليه من حقه وبقدر طاقته وذلك ان العدل اذا
كان هو اعطاء من يجب ما يجب كما يجب فمن المحال ان لا يكون لله تعالى الذي وهب لنا هذه الخيرات العظيمة
ما يجب علينا ان يقوم به الناس والثاني ما يقوم به بعض الناس لبعض من اداء الحقوق وتعظيم الرؤساء
وتادية الامانات والنصفة في المعاملات والثالث ما يقومون به من حقوق اسلافهم مثل قضاء الديون
عنهم وانفاذ وصاياهم وما اشبه ذلك فهذا ما قاله ارسطو طاليس في تحقيق ما قاله مما يجب لله عز وجل
وان كان ظاهرا فانا نقول فيه ما يليق بهذا الموضع وهو ان العدالة لما كانت تظهر في الاخذ والاعطاء
وفي الكرامات التي ذكرناها وجب ان يكون لما يصل الينا من عطيات الخالق عز وجل ونعمه التي لا تحصى حق
نقابل عليه وذلك ان من اعطي خيرا ما وان كان قليلا ثم لم ير ان يقابله يخرج من المعاملة فهو ايضا كيف
به اذا اعطي خيرا كثيرا ولا يتناهى عددا ثم لم يعط في مقابلته شيئا البتة ثم على قدر النعم التي تصل الى الانسان
يجب ان يكون اجتهاده في المقابلة عليها ومثال ذلك ان الملك الفاضل اذا احسن السيرة وبسط العدل

فأوسع العمارة وحمى الحريم وذب عن الحوزة ومنع من التظالم ووفر الناس على ما يختارونه من مصالحهم ومعايشهم فقد احسن الى كل واحد من رعيته احسانا يخصه فى نفسه وان كان قد عمهم الجميع واستحق من كل احد منهم ان يقابله ضربا من المعاملة متى فقد كان جائرا اذ كان يأخذ نعمته ولا يعطيه شيئا لكن مقابلة الملك من جهة رعيته انما يكون باخلاص الدعاء ونشر المحاسن وجميل الشكر وبذل الطاعة وترك المخالفة فى السر والعلانية والمحبة الصادقة والاتمام بسيرته بحسب استطاعته والاقتداء به فى تدبير منزله واهله وولده وعشيرته فان نسبة الملك الى مدينته ورعيته كنسبة صاحب المنزل الى منزله واهله فمن لا يقابل ذلك الاحسان بهذه الطاعة والمحبة فقد جار وظلم وهذا الجور والظلم اذا كان فى مقابلة النعم الكثيرة افحش واقبح وذلك ان الظلم وان كان فى نفسه قبيحا فان مراتبه كثيرة لان مقابلة كل نعمة انما يكون بحسب منزلها وموقعها وتعدد فوايدها وعوايدها وعلى مقدار عددها فان كانت النعم كثيرة العدد وعظيمة الموقع فكيف يكون حال من لا يلتزم لها حقا ولا يرى عليها مقابلة بطاعة ولا شكر ولا محبة صادقة ولا مساعاة صالحة واذا كان هذا امرا منكرا واجبا غير مجحود فى ملوكنا ورؤسائنا فكم بالحرى ان يكون لملك الملوك الذى يصل الينا فى كل يوم بل فى كل طرفة عين ضروب احسانه الفائض على اجسامنا ونفوسنا التى لا يقع عليها احصاء ولا حد من الحقوق الواجب علينا القيام بها والنهوض بتأديتها أترى نجهل النعم الاولى علينا بالوجود ثم تتابعها متواترة بعد ذلك بالخلق الجسدانى الذى افنى فيه صاحب كتاب التشريح ومنافع الاعضاء نحو الف ورقة ثم لم يبلغ بعض ما عليه كنه الامر أترانا نجهل ما وهب لنا من نفوسنا وما ركب فيها من القوى والملكات التى لا نهاية لها وما امدها من فيض العقل ونوره وبهائه وبركاته وما عرضنا به للملك الابدى والنعيم السرمدى لا لعمرى ما نجهل هذه النعم الا المنعم فاما الانسان فيعرف من ذلك ما ينطرح اليه مشاهدة الخيال فى جميع اوقاته واذا كان الخالق تعالى غنيا من معونتنا ومساعينا فمن المحال القبيح والجور الفاحش ان لا نلتزم نحن له حقا ولا نقابله على هذه الالاء والنعم بما تزيل عنا سمة الجور والخروج عن شريطة العدل الا ان ارسطاطاليس فى هذا الموضع لم ينص على العبادة التى يجب ان يلتزمها الخالق عز وجل غير انه قال ما هذه حكاية وقد اختلف الناس فيما ينبغى ان يقوم به المخلوقون لخالقهم تعالى جلاله فبعضهم راى انه صلوات وصيام وخدمة هياكل ومصليات وقرابين وبعضهم راى ان يقتصر على

على الآخرين بهيئة الاعتراف باحسانه وتمجيد الحسب خالقه وبعضهم راى ان يتقرب اليه بان يحسن الى نفسه
بتزكيتها وحسن سياستها او الاحسان الى المستحقين من اهل نوعه بالمواساة او بالحكمة والموعظة وبعضهم
راى ان الجبال الفكر فى الالهيات التصرف فى المجاورات التى يتزيد بها الانسان من معرفة ربه عز وجل حتى يتكامل
به متوفقه به بحقيقة وحدانيته وصدق التوكل اليه وهو مما يجب على الانسان لخالقه عز وجل وبعضهم راى
ان الواجب لله عز وجل على الناس ليس سبيله واحدا ولا هو شئ بعينه يلتزمه الجميع التزاما واحدا وعلى مثال
واحد ولكنه يختلف بحسب اختلاف طبقات الناس ومراتبهم من العلم فهذا ما قاله ارسطاطاليس بالفاظه
المنقولة الى العربية فاما ما قاله المحدثون من الفلاسفة فانهم قالوا عبادة الله عز وجل فى ثلثة انواع احدها فيما
يجب له على الابدان كالصلوة والصيام والسعى الى المواقف الشريفة لمناجاة الله عز وجل والثانى فيما يجب له
على النفوس كالاعتقادات الصحيحة مثل العلم بتوحيد الله تعالى وما يستحقه من الثناء والمجد وكالفكر بما افاضه
الله على العلم من وجوده وحكمته ثم الاتساع فى هذه المعارف والثالث فيما يجب عنده مشاركات الناس
فى المدن وهى فى المعاملات والمزارعات والمناكح وفى تادية الامانات ونصيحة البعض للبعض بضروب
المعاونات وعند جهاد الاعداء والذب عن الحريم وحماية الحوزة قالوا فهذه العبادات هى الطرق
المؤدية الى الله عز وجل وهى التى تجب له على عباده وقال آخرون عبادة الله فى ثلاث وهى الاعتقاد
الحق وقول الصواب والعمل الصالح ثم ان العمل ينقسم الى البدن كالصيام والصلوة والى ما هو خارج عن
البدن كالمعاملات والجهاد ثم ان المعاملات ينقسم الى المعاوضات والمناكح والمعاونات وهذه
الانواع وان كانت معدودة محصورة فانها منقسمة الى انواع كثيرة واقسام غير محصاة وللانسان فيها
مقامات ومنازل عند الله فالمقام الاول للموقنين وهو مرتبة الحكماء واجلة العلماء والمقام الثانى
هو مقام المحسنين وهو مرتبة الذين يعملون ما يعلمون وهو ما ذكرناه فى كتابنا هذا من الفضائل
والعمل بها والمقام الثالث مقام الابرار وهو مرتبة الصالحين وهؤلاء هم خلفاء الله عز وجل
بالحقيقة فى اصلاح العباد والبلاد والمقام الرابع مقام الفائزين وهو مرتبة المخلصين فى
المحبة واليها ينتهى رتبة الاتحاد وليس بعدها منزلة ولا مقام لمخلوق ولا يسعد الانسان بهذه

المنازل اذا حصلت له اربع خلال اولها الحرص والنشاط والثانى العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية والثالث
الحياء من الجهل ونقصان القريحة اللذين يحدثان بالاهمال والرابع هذه الفضائل والترقى فيها دائما بحسب الاستطاعة
فهذه اسباب الاتصال بها فاما انقطاعات عن الله عز وجل ومساقطه وهى التى يعرفها العابدون فاولها السقوط الذى يستحق
به الاعراض ويتبعه الاستهانة والثانى السقوط الذى يستحق به الحجاب ويتبعه الاستخفاف والثالث السقوط الذى يستحق
به الطرد ويتبعه المقت والرابع السقوط الذى يستحق به الحجب ويتبعه البغض وانما يشقى العبد اذا حصل على اربع
خلال اولها الكسل والبطالة ويتبعهما ضياع الزمان وفناء العمر بغير فائدة انسانية والثانية الغباوة والجهل
المتولدان عن ترك النظر ورياضة النفس بالتعاليم التى احصيناها فى كتاب ترتيب السعادات والثالثة الوقاحة التى يتبعها
اهمال النفس اذا انبعثت الشهوات وترك ذمها عن ركوب الخطايا والسيئات والرابعة الانهماك الذى يحدث عن
الاستمرار فى القبائح وترك الانابة وهذه الانواع الاربعة مسماة فى الشريعة باربعة اسماء فالاول هو الزيغ والثانى
هو الرين والثالث هو الغشاوة والرابع هو الختم ولكل واحدة من هذه الشقاوات علاج خاص سنذكره عند مداواة
اسقام النفس حتى تعود الى الصحة باذن الله عز وجل وهذه الاشياء التى عددناها الان لا خلاف بين الحكماء
فيها وبين اصحاب الشرائع وانما يختلف بالعبارات والاشارات اليها بحسب اللغات وافلاطن يقول ان العدالة
اذا حصلت للانسان اشرق بها كل واحد من اجزاء النفس على كل واحد منها وذلك لحصول فضائلها اجمع فيها
فحينئذ ينهض النفس فيؤدى فعلها الخاص بها على افضل ما يكون وهذه غاية قرب الانسان السعيد من الله تقدس
اسمه قال والعدالة توسط ليس على جهة التوسط الذى فى الفضائل التى تقدم ذكرها لكن لانه فى الوسط
الجور فى الطرفين وانما صار الجور فى الطرفين لانه زيادة ونقصان معا وذلك ان من شان الجور ان يطلب الزيادة
والنقصان معا اما الزيادة فمن النافع على الاطلاق واما النقصان فمن الضار فلذلك يكون الجائر مستعملا
للزيادة والنقصان معا اما لنفسه فيستعمل الزيادة فى النافع واما لغيره فيستعمل النقصان منه واما فى الضار
فبالضد وعلى العكس وذلك انه اما لنفسه فيستعمل النقصان واما لغيره فيستعمل الزيادة فالفضائل التى جعلناها
اوساطا بين الرذائل هى غايات ونهايات وذلك ان الوسط بين ما نهاية لها من كل جهة فهو فى غاية البعد
منها ولذلك من بعد من الوسط زيادة بعد قرب من رذيلة كما قلنا فيما تقدم فقد تبين من جميع ما

ما تقدم من ان الفضائل كلها اوساط بين رذائل وان العدالة اسم يشملها وفيها كلها لان الشريعة انما كانت بعد الافعال الارادية
التي تقع بالروية وبالوضع الاوساط المتمسك بها في معاملاته عدلا والمخالف لها جايرا فلهذا قلنا ان العدالة تعقب التمسك
بالشريعة الا انا قلنا مع ذلك انها هيئة نفسانية يصدر عنها هذه الفضيلة فتصير هذه الهيئة النفسانية فاذلك
ستري روية واضحة ان صاحبها ينقاد لا محالة للشريعة طوعا ولا تضادها بنوع من انواع التضاد وذلك انه اذا حافظ
على المناسبات التي ذكرناها لانها مساواة واثرها على حالة الراي فيها على سبيل الاختيار لها والرغبة فيها وجبت
عليه موافقة الشريعة وترك مخالفتها واقل ما يكون المساواة بين اثنين ولكنها تكون في معاملة مشتركة بينهما
وهي الشيء الثالث وربما كان شيئين كما قلنا في المناسبات بين اربعة كما قلنا وينبغي ان يعلم ان هذه الهيئة
النفسانية غير الفعل وغير المعرفة وغير القوة اما الفعل فلانا قد بينا انه قد لا يقع عن هيئة نفسانية
كمن يعمل اعمال العدالة وليس بعادل وكمن يعمل اعمال الشجاعة وليس بشجاع واما القوة والمعرفة فلان كل
واحدة منهما هي بعينها للضدين معا فان العلم بالضدين واحد وكذلك القوة على الضدين قوة واحدة فاما
الهيئة القابلة لاحد الضدين فهي غير الهيئة القابلة لضد الاخر ومثال ذلك هيئة الشجاع فانها غير هيئة
الجبان وكذلك هيئة العفة غير هيئة الشره وهيئة العدالة غير هيئة الجور ثم ان العدالة والحرية يشتركان
في باب المعاملات والاخذ والاعطاء الا ان العدالة يقع في اكتساب المال على الشرائط التي قدمنا القول فيها
والحرية يقع في انفاق المال على الشرائط التي ذكرناها ايضا ومن شان من يكتسب ان ياخذ فهو بالمنفعل اشبه ومن
شان المنفق ان يعطي فهو بالفاعل اشبه فلهذه العلة يكون محبة الناس للحر اشد من محبتهم للعادل الا ان نظام
العالم بالعدالة اكثر منه بالحرية وخاصية الفضيلة هي في فعل الخير لا في ترك الشر وخاصيته محبة الناس و
في بذل المعروف لا في جمع المال فالحر لا يكرم المال ولا يجمعه لذاته بل لتصرفه في وجوهه التي يكتسب بها المحامد
ومن خاصيته ان لا يكون كثير المال لانه منفاق ولا يكون ايضا فقيرا لانه كسوب من حيث ينبغي وهو غير مستكسل
عن الكسب الجميل لانه بالمال يصل الى فضيلة الحرية ولذلك لا يضيع المال ولا يستعمل فيه التبذير ولا ايضا يشح
به فلا يستعمل التقتير فكل حر عادل وليس كل عادل حرا وفي هذا الموضع مسألة عويصة سال عنها الحكماء
انفسهم واجابوا عنها بجواب مقنع ويمكن ان يجاب عنه بجواب اخر هو اشد اقناعا ويجب ان يذكر الجميع وهو ان

ان ينبك مقول اذا كانت العدالة فعلا اختياريا يستعملها العادل ويقصد بها تحصيل الفضيلة لنفسه فالظاهر ان الظلم
فيجب ان يكون الجور فعلا اختياريا يستعمله الجائر ويقصد به تحصيل الرذيلة ومذمة الناس ومن القبيح الشنيع ان يظن
بالانسان العاقل انه يقصد الاضرار بنفسه بعد الروية وعلى سبيل الاختيار ثم اجابوا عن ذلك وحلوا هذا الشك بان
قالوا ان من ارتكب فعلا يؤدي به الى ضرر وعذاب ثم تكون مضرته لنفسه وضاره اياها من حيث يقصد ان ينفعها ذلك
لسوء اختياره وترك مشاورة العقل فيه ومثال ذلك الحاسد فانه ربما جنى على نفسه لا على تعجيل الاضرار بنفسه بل لانه
يظن انه ينفعها بالعاجل في الخلاص من الاذى الذي يلحقه من الحسد فهذا جواب القوم فاما الجواب الآخر فهو ان
الانسان لما كان ذا قوى كثيرة يسمى مجموعها انسانا واحدا لم ينكر ان يصدر عنه افعال مختلفة بحسب تلك القوى
وانما المنكر ان يكون الشيء الواحد البسيط ذو القوة الواحدة يصدر بتلك القوة افعال مختلفة لا بحسب الآلات المختلفة ولا
بقدر القابلات منه بل بتلك القوة الواحدة فقط فهذا لعمري منكر شنيع ولكن الانسان قد تبين من حاله ان له
قوى كثيرة ويعمل بكل قوة عملا يخالف العمل الآخر اعني ان صاحب الغضب اذا استشاط تخالف افعاله الافعال التي له اذا
كان ساكنا وادعا وكذلك صاحب الشهوة الهائجة وصاحب النشوة الطرب فان من شان هؤلاء ان يستخدموا
العقل الشريف في تلك الحال ولا يستشيروه وكذلك نجد العاقل اذا تغيرت احواله تلك فصار من الغضب الى الرضا
ومن السكر الى الافاقة تعجب من نفسه وقال ليت شعري كيف صدرت تلك الافعال القبيحة فيلحقه الندم وانما
ذلك لان القوة التي تهيج به تدعوه الى ارتكاب فعل يظنه في تلك الحال صالحا جميلا لانه لم يتم بحركة القوة العاقلة
فاذا سكن عنها ورجع عقله ورأى قبح ذلك الفعل وفساده وقوى الانسان التي تدعوه الى ضروب الشهوات وصنوف
الكرامات التي لا يحصيها كثيرة جدا فهو بحسب قواه الكثيرة يكون افعاله كثيرة فاذا تعود الانسان ان يكون سيرته
فاضلة ولم يقدم على شيء من افعاله الا بعد مطالعة العقل الصحيح وبعد مراعاة الشريعة القويمة كانت افعاله
كلها منتظمة غير مختلفة ولا خارجة عن سنن العدل اعني المساواة التي قدمنا القول فيها ولهذا السبب قلنا
ان السعيد هو من اتفق له في صباه ان يؤدب بالشريعة ويستسلم لها ويتعود جميع ما تأمر به حتى اذا بلغ مبلغا
يمكنه معه ان يعرف الاسباب والعلل طالع الحكمة فوجدها موافقة لما تقدمت عادته به فاستحكم رأيه وقويت
بصيرته ونفذت عزيمته وههنا مسألة صعبة اشد من الاولى وهو ان المتفضل محمود جدا والبس يقع تحت

تحت العدالة لان العدالة كما ذكرنا مساواة والتفضل زيادة وقد حكمنا ان العدالة تجمع الفضايل كلها ولا مزيد
عليها بل يجب ان يكون الزيادة عليها مذمومة كما ان النقصان عنها مذموم ليكون شرف الوسط الذى تقدم وصفه
فى سائر الاخلاق خاصة للعدالة فالجواب عنها ان التفضل احتياط يقع من صاحبه فى العدالة ليامن من وقوع النقص
فى شئ من شرائطها وليس الوسط فى كل طرفين من الاخلاق على شريطة واحدة وذلك ان الزيادة فى باب السخا
اذا لم يخرج الى التبذير احسن من النقصان عنه واشبه بالمحافظة على شرائطه حتى يصير كالاحتياط عليه فاما
العفة فان النقصان من الوسط فيها احسن من الزيادة عليه واشبه بالمحافظة على شرائطه وابلغ فى الاحتياط عليه
واخذ الحزم فيه ومع ذلك فليس يستعمل التفضل الا حيث يستعمل العدالة اعنى بذلك ان من اعطى ماله من لا يستحق شيا مسرو
مساواة من يستحقه لا يسمى متفضلا بل مضيعا وانما يكون متفضلا اذا اعطى من يستحق كما يستحق ثم زاد تفضلا وهذه الزيادة
ليست من الزيادة التى ذكرناها فى باب السخا لان تلك الزيادة ذهاب الى الطرف الذى يسمى تبذيرا وهو مذموم
ويعرف ذلك من وجدها وهو بذل ما لا ينبغى لمن لا ينبغى على الوجه الذى لا ينبغى فاذن التفضل غير خارج عن شرائط
العدالة بل هو محتاط عليها ولذلك قيل ان المتفضل اشرف من العادل فقد بان ان التفضل هو العدالة بل هو العدالة
مع الاحتياط فيها وكانه مبالغة لا يخرج عن معناها لان هذه الهيئة النفسانية ليست غير تلك الهيئة بل هى هى
فاما الاطراف التى هى رذائل اعنى الزيادة والنقصان التى سبق القول فيها فى كل هيئة فمذمومة غير الهيئات المحمودة
هذه الاشياء هى التى يحصل لك معانيها ومشاركة بعضها البعض ومباينة بعضها البعض ايضا فان الشريعة تامر بالعدالة الكلية ثم
ينحط الى الجزئيات واعنى بذلك ان العدالة التى هى المساواة تكون مرة فى باب الكم ومرة فى باب الكيف
وفى سائر المقولات وبيان ذلك ان نسبة الماء الى الهواء مثلا ليست تكون بالكمية بل بالكيفية ولو كان
بالكمية لوجب ان يكونا متساويين فى المساحة ولو كانا كذلك لتغالبا واحال احدهما الاخر الى ذاته
وكذلك النار والهواء ولولا التسوية هذه العناصر بعضها بعضا لفنى العالم فى ادنى مدة ولكن البارى تقدس اسمه
عدل بين هذه بالقوة فتقاومت فليس يغلب احدهما الاخر بالكلية وانما يحصل الجزء منها الجزئى فى الاطراف
اعنى حيث يلتقى نهاياتها فاما كلياتها فلا تقدر على كلياتها لان قواها متساوية متعادلة على غاية
السوية والتعادل وبهذا النوع من العدل قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض ولو رجح احدهما

على الآخر بزيادة تبين في الأحوال الزائد الناقص ويقع عليه فيظهر الظلم فيحكم الحاكم بالقسط لانه الآخر
العزيز الحكيم فلما كانت الشريعة تأمر بالعدالة الكلية لم تأمر بالتفضل الذي هو زيادة اليه مندوبا ليستعمل في الجزئيات
التي لا يمكن ان تعين عليها لانها بلا نهاية وخصت العقوبة بالعدالة الكلية لانها شيء يمكن ان تعين عليها
وقد تبين ايضا مما قدمناه ان التفضل انما يكون في العدالة التي تخص الانسان في نفسه في تسوية المعاملة
او لا فيما بينه وبين غيره ثم الاستظهار فيه والاحتياط عليه بما يكون تفضلا ولو كان ما كنا بين قوم ويعتقب
له في تلك الحكومة لم يجز له التفضل ولم يسعه الا العدل المحض والتسوية الصحيحة بلا زيادة ولا نقصان
وتبين ايضا ان الهيئة التي يصدر عنها الافعال العادلة متى نسبت الى صاحبها سميت فضيلة ومتى نسبت
الى من يعامل بها سميت عدالة واذا اعتبرت بذاتها سميت ملكة نفسانية فاستعمال المرء العاقل العدل على
نفسه اول ما يلزمه ويجب عليه وقد ذكرنا فيما تقدم كيف يفعل ذلك وبينا كيف يعدل قواه الكثيرة اذا
هاج به بعضها واشرنا الى اجناس هذه القوى الكثيرة وان بعضها يكون بالشهوات المختلفة وبعضها يطلب
الكرامات الكثيرة وانها اذا تغالبت وتجاذبت حدث في الانسان باضطرابها انواع الشر يجذبه كل واحد
منها الى ما يوافقه وهكذا سبيل كل مركب من كثرة اذا لم يكن لها رئيس واحد ينظمها ويوحدها او وسط يشبه
كل مركب كذلك ومن يحدث من جهتين فيتقطع بينهما وينشق بنصفين او من جهات كثيرة فينقطع بحسب
تلك الجهات وقواما ما لم يكن رئيس ينظم هذه الكثرة التي ركبت منها الانسان الا الرئيس الواحد الموهوب بالنطق
اعني العقل الذي به يميز من البهائم وهو خليفة الله عنده فان هذه القوى كلها اذا سامها العقل ثبت
وزال عنها شوائب النظام الذي يحدث من الكثرة وجميع ما ذكرنا من اصلاح الاخلاق مبني عليه فاذا تم
للانسان ذلك اعني ان يعدل على نفسه ولزم هذه الفضيلة فقد لزمه ان يعدل على اصدقائه ثم اهله
وعشيرته ثم يلزمه ان يستعمل ذلك في الاباعد ثم في سائر الحيوانات واذا تصحح ذلك وتبين
فقد ظهر ايضا ان شر الناس من رجع على نفسه ثم على اصدقائه ثم عشيرته ثم على كافة الناس ولذلك
العلم باحد الضدين هو العلم بالضد الآخر فخير الناس العادل وشرهم الجائر كما قلنا وقد قال قوم ان نظام
امر الموجودات كلها وصلاح احوالها معلق بالمحبة وقالوا ان الانسان انما اضطر الى اقتناء هذه

هذه الفضيلة اعني الهيئة التي تصدر عنها الافعال التي تعتد بها العادلات لكانت ثمرة المحبة ولو كان الناس
احباء لتناصفوا ولم يقع بينهم خلاف وذلك ان الصديق يعد صديقه نفسه ويريد له ما يريده لنفسه وليس يقع الثقة
والتعاضد والتوازر الا بين الاصدقاء فاذا اشتدت هذه المحبة تمت المحبة ووصلت الى جميع المحبوبات ولم يبق عليهم
التطالب وان كانت صعبة شديدة وحينئذ يتفق الآراء الصائبة ويتعاون العقول على استخراج الغوامض
من التدابير القوية ويتقوون على نيل الخيرات كلها بالتعاضد ولو سقط الفضل من نفس هذا الرأي
وقواه وهؤلاء القوم انما نظروا الى فضيلة التأحد التي تحصل بين الكثرة وعلموا انها اشرف غايات
اهل المدينة وذلك انهم اذا تحابوا تواصلوا واراد كل واحد منهم لصاحبه مثل ما يريده لنفسه فتصير
القوى الكثيرة واحدة ولم يتعذر على احد منهم رأي صحيح ولا عمل صواب ويكونون مثله في جميع ما يهمه ولو انه
مثل من يلتمس نيل فعل عظيم بنفسه ولا يطيق ذلك فان استعان بقوة غيره ... مدبر المدينة انما يقصد
بجميع تدابيره ايقاع المودات بين اهلها واذا تم له هذه الخاصة فقد تم له جميع الخيرات التي يتعذر عليه وجودها
على افراد اهل مدينته وحينئذ يغلب اقرانه ويعيش بلذاته ويعيش هو ورعيته مغبوطين ولكن هذا التأحد
المطلوب المرغوب فيه لا يتم الا بالآراء الصحيحة التي يجب الاتفاق من العقول السليمة عليها وبالاعتقادات
القويمة التي لا تحصل الا بالديانات التي يتقصد بها محبة الله عز وجل واسباب المحبة كثيرة وان كانت
ترجع كلها الى وجه واحد سنفصلها بعون الله فيما بعد بما سنحتاج اليه في هذه المقالة

تمت المقالة الرابعة

قد سبق القول في حاجة بعض الناس الى بعض وتبين ان كل واحد منهم يجد تمامه عند صاحبه
وان الضرورة داعية الى استعانة بعضهم ببعض لان الناس مطبوعون على النقصانات ومضطرون في
الى تمامها ولا سبيل لافرادهم والواحد منهم الى تحصيل تمامه بنفسه كما شرحنا فيما مضى فالحاجة
ماسة والضرورة داعية الى محبة تجمع وتؤلف بين شتات الاشخاص ليصيروا بالاتفاق والائتلاف كالشخص
الواحد الذي تجتمع اعضاؤه كلها على الفعل الواحد النافع له والمحبة انواع واسبابها تكون بعدد انواعها
فاحدها ما ينعقد سريعا وينحل سريعا والثاني ما ينعقد سريعا وينحل بطيئا والثالث ما ينعقد بطيئا وينحل
سريعا والرابع ما ينعقد بطيئا وينحل بطيئا وانما انقسمت الى هذه الانواع فقط لان مقاصد الناس في

مطالبهم وسيرهم ثلثة ويتركب بينها رابع وهي اللذة والخير والنافع والمركب منها واذا كانت هذه غايات الناس في مقاصدهم
فلا محالة انها اسباب المحبة من اجلها وصارت سببا للوصول اليها واما المحبة التي تكون سببها اللذة فهي التي ينعقد سريعا
وينحل سريعا وذلك ان اللذة سريعة التغير كما شرحنا امرها فيما تقدم واما المحبة التي سببها الخير فهي التي ينعقد سريعا وينحل
بطيئا واما المحبة التي سببها النافع فهي التي ينعقد بطيئا وينحل سريعا واما المحبة التي يتركب من هذه اذا كان فيها الخير
فانها ينحل بطيئا وينعقد بطيئا وهذه المحبات كلها تحدث بين الناس خاصة لانها يكون بارادة ويكون فيها مجازاة
ومكافاة فاما التي تكون بين الحيوانات غير الناطقة فالاحرى بها ان يسمى الفا وتقع بين الاشكال منها خاصة واما
التي لا نفوس لها من الاحجار وامثالها فليس يوجد فيها الا الميل الطبيعي الى مراكزها التي تخصها وقد يوجد بينها منافرة و
مشاكلة بحسب امزجتها الحادثة فيها من عناصرها الاول وهذه الامزجة كثيرة اذا وقع فيها ما يتناسب بنسبة تاليفية
او عددية او مساحية حدث بينها ضرب من المشاكلة واذا حدث اضداد هذه النسب وقعت بينها منافرة ويحدث لها
اشياء تسمى خواص ومنها افعال بديعة غريبة وهي التي تسمى اسرار الطبايع ولا سيما في النسب التي نسبة المساواة ولها اضداد اعني
لهذه النسب وهي مبينة مشروحة في صناعة الارثماطيقي ثم في صناعة التاليف واما الامزجة التي بحسب هذه النسب و
الوقوف عليها فهي خفية عنا وعسيرة المرام وقد ادعى قوم الوصول اليها وليست تكون هذه الافعال والخواص
التي تحدث بين الامزجة من النسب المذكورة موجودة في العناصر انفسها والكلام فيها خارج عن غرضنا وانما ذكرناها
ههنا لانها تشبه المشاركات والمنافرات التي بين الحيوان في الظاهر ولا تشبه التي تحدث بين الناس بالارادة
وهي التي نتكلم فيها ويقع فيها مكافاة ومجازاة والصداقة نوع من المحبة الا انها اخص منها وهي المودة بعينها وليس يمكن
ان تقع بين جماعة كثيرين كما تقع المحبة فاما العشق فهو افراط في المحبة وهو اخص من المودة وذلك انه لا يمكن ان يقع
الا بين اثنين فقط ولا يقع في النافع ولا في المركب من النافع وغيره وانما يقع لمحب اللذة بافراط ولمحب الخير بافراط واحدهما
مذموم اعني اللذة والآخر محمود اعني الخير فالصداقة بين الاحداث ومن كان في مثل طباعهم وانما تحدث لاجل اللذة فهم
يتصادقون سريعا ويتقاطعون سريعا وربما اتفق ذلك بينهم في الزمان اليسير مرارا كثيرة وربما بقيت بقدر بقاء
اللذة ومعاودتها حالا بعد حال واذا انقطعت هذه اللذة بمعاودتها انقطعت الصداقة في الوقت والحال والصداقة
بين المشايخ وممن كان في مثل طباعهم انما تقع لمكان المنفعة فهم يتصادقون بسببها فاذا كانت المنافع مشتركة بينهم

بينهم وهي في الاكثر طوية اللذة كانت صداقتهم باقية فحين ينقطع علاقة النفعة بينهم وينقطع رجاؤهم
منها ينقطع مودّاتهم واما الصداقة بين الاخيار فيكون لاجل الخير وسببها هو الخير ولما كان الخير شيئا ثابتا غير متغير
الذات صارت مودّاتهم ابدا باقية غير متغيرة وايضا فلما كان الانسان مركبا من طبايع متضادة صار
ميل كل واحد منها يخالف ميل الاخر واللذة التي يوافق احدها يخالف لذة الاخر التي يضادها فلا يخلص له لذة
غير مشوبة باذى ولما كان فيه جوهر آخر بسيط الهي غير مخالط لشيء من الطبايع الاخر صارت له لذة غير مشابهة
لشيء من تلك اللذات وذلك انها بسيطة ايضا والمحبة التي سببها هذه اللذة هي التي تفرط حتى يصير عشقا تاما
خالصا شبيها بالوله وهي المحبة الالهية الموصوفة التي تدعيها بعض المتالهين وهي التي يقول فيها ارسطو حكاية
عن ابن قليطس ان الاشياء المختلفة لا يتشاكل ولا يكون منها تاليف جيد فاما الاشياء المتشاكلة فهي التي يسر
بعضها ببعض ويشتاق بعضها الى بعض فاقول ان الجواهر البسيطة اذا تشاكلت واشتاق بعضها الى بعض تالفت
صارت شيئا واحدا لا غيرية بينها اذ الغيرية انما يحدث من جهة الهيولى فاما الاشياء ذوات الهيولى وهي الاجرام
فانها وان اشتاقت بنوع من الشوق الى التاليف فانها لا يتحد ولا يمكن ذلك فيها وذلك انما يلتقي بنهاياتها
وسطوحها دون ذواتها وهذا الالتقاء سريع الانفصال اذا كان التاحد فيها ممتنعا وانما يتاحد بنحو استطاعتها اعني
بملاقاة سطوحها فاذن الجوهر الالهي الذي في الانسان اذا صفا من كدورته التي حصلت فيه من ملابسة الطبيعة
ولم يهده انواع الشهوات واصناف محبة الكرامة اشتاق الى شبهه ورأى بعين عقله الخير الاول المحض الذي لا يشوبه
مادة فاسرع اليه وحينئذ يفيض نور ذلك الخير الاول عليه فيلتذ به لذة ويصير الى معنى الاتحاد الذي وصفناه
استعمل الطبيعة البدنية ام لم يستعملها الا انه بعد مفارقة الطبيعة الكلية احق بهذه الرتبة العالية
لانه ليس يهم بالصفا التام الا بعد الحيوة الدنيوية ومن فضائل هذه المحبة الالهية انها لا تقبل النقصان
ولا تقدح فيها السعاية ولا يعترض عليها الملل ولا تكون الا بين الاخيار فقط واما المحبات التي تكون بسبب المنفعة
واللذة فقد يكون بين الاشرار وبين الاخيار والاشرار الا انها تنقضي وتنحل مع تقضي النافع واللذيذ لانها
عرضية وكثيرا ما يحدث بالاجتماعات في المواضع الغريبة الا انها تزول بزوال الموضع كالسفينة وربما
جرى مجراها والسبب في هذه المحبة الانس وذلك ان الانسان انس بالطبع ليس بوحشي ولا نفور ومنه اشتق اسم الانسان

فى اللغة العربية وقد تبين ذلك فى صناعة النحو وليس كما يقول الشاعر ع سميت انسانا لانك ناسى
فان هذا الشاعر ظن ان الانسان مشتق من النسيان وهو غلط منه وينبغى ان يعلم ان هذا الانس الطبيعى فى
الانسان هو الذى ينبغى ان يحرص عليه ويكتسبه مع انه انسنا لا يفوتنا بجهدنا واستطاعتنا من ابناء جنسنا
كلها وانما وضع للناس بالشريعة وبالعادة الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع فى المادب ليحصل لهم هذا الانس
ولعل الشريعة انما اوجبت على الناس ان يجتمعوا فى مساجدهم كل يوم خمس مرات وفضلت صلاة الجماعة على صلاة
الوحدة ليحصل لهم هذا الانس الطبيعى الذى هو مبدء المحبات وهو فيهم بالقوة حتى يخرج الى الفعل ثم يتاكد فيهم
بالاعتقادات الصحيحة التى تجمعهم وهذا الاجتماع فى كل يوم ليس يتعذر على اهل كل محلة وسكة و
الدليل على ان غرض صاحب الشريعة عليه السلام ما ذكرناه انه اوجب على اهل المدينة باسرهم ان يجتمعوا
فى كل اسبوع يوما بعينه فى مسجد يسعهم ليجتمع ايضا شمل اهل المحال والسكك فى كل اسبوع كما اجتمع شمل
اهل الدور والمنازل فى كل يوم ثم اوجب ايضا ان يجتمع اهل المدينة مع اهل القرى والرساتيق المتقاربة
فى سنة مرتين فى مصلى بارز يسعهم المكان ويتراءوا ويتجدد الانس بين كافتهم وتشملهم المحبة الناظمة
لهم ثم اوجب بعد ذلك ان يجتمعوا من البلدان فى العمر كله مرة واحدة فى الموضع المقدس بمكة ولم يعين من العمر
على وقت مخصوص ليتسع لهم الزمان وليجتمع اهل المدينة المتباعدة كما اجتمع اهل المدينة الواحدة وتصير حالهم فى
الانس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحال المجتمعين فى كل سنة وفى كل اسبوع وفى كل يوم فيحصل بذلك
الانس الطبيعى الى الخيرات المشتركة ويتجدد بينهم محبة الشريعة ويكبروا الله على ما هداهم ويغتبطوا بالدين
القويم الذى الفهم على تقوى الله وطاعته والقيم بحفظ هذه السنة وغيرها من وظائف الشرع حتى لا يزولوا
عن اوضاعها هو الامام وصناعته هى صناعة الملك والاوايل لا يسمون بالملك الا من
حرس الدين وقام بحفظ مراتبه واوامره ونواهيه فاما من اعرض عن ذلك فيسمونه متغلبا ولا
يوهلونه باسم الملك وذلك ان الدين هو وضع الهى يسوق الناس باختيارهم الى السعادة القصوى
والملك هو حارس هذا الوضع الالهى حافظ على الناس ما اخذوا به وقال حكيم الفرس من ملوكهم اردشير ان
الدين والملك اخوان توامان لا يتم احدهما الا بالاخر فالدين هو الاس والملك حارس وكل ما لا اس له فمهدوم وكل ما

سا الحارس له فضايع ولذلك حكم افلاطن بان الذى نصب للدين ان يتيقظ فى موضعه ويحكم صناعته ولايأتى
امرا مباينا ولا يشتغل بلذة تخصه ولايطلب الكرامة والغلبة لاجل نفسه فانه متى اغفل سياسة ما هو بصدده دخل عليه
من هناك الخلل والوهن وحينئذ يتبدل او يضيع الدين ويجد الناس رخصة فى شهواتهم ويكثر من يساعدهم
فتنقلب هيئة السعادة الى ضدها ويحدث بينهم الاختلاف والتباغض ويؤديهم ذلك الى الشتات والفرقة
ويبطل الغرض الشريف وينتقض النظام الذى طلبه صاحب الشرع بالاوضاع الالهية فيحتاج حينئذ الى تجديد الامر
والى استيناف التدبير وطلب الامام المحق والملك العادل ونعود الى ذكر اجناس المحبات واسبابها فنقول ان هذه
الاسباب كلها ما خلا المحبة الالهية اذا كانت مشتركة بين المتحابين واحدا بعينه جاز فى السببين ان ينعقدا معا
وينحلا معا وجاز ايضا ان يبقى احدهما وينحل الاخر مثال ذلك ان اللذة المشتركة بين الرجل والمراة هى سبب المحبة
بينهما فقد يجوز ان تجمع المحبتين لان السبب واحد وهو اللذة وقد يجوز ان ينقطع احدهما ويبقى الاخر وذلك ان اللذة تتغير
ولا تكاد تثبت كما تقدم وصفها وقد يجوز ان تتغير بسبب احد الجنبتين وتثبت الاخرى وايضا فان بين الرجل وزوجته
خيرات مشتركة ومنافع مختلطة وهما يتعاونان عليها اعنى الخيرات الخارجة عنا وهى الاسباب التى تعمر بها
المنازل فالمراة تنتظر من زوجها تلك الخيرات لانه هو الذى يكتسبها ويحصلها فاما الرجل فانه ينتظر من
زوجته ضبط تلك الخيرات لانها هى التى تحفظها وتدبرها التدبير ولا تضيع فمتى قصر احدهما اختلفت المحبة
وحدثت الشكايات ولايزال كذلك الى ان ينقطع او يبقى مع الشكاية والملامة وكذلك حال المنفعة
المشتركة بين سائر الناس اذا كانت واحدة بعينها فاما المحبات المختلفة التى اسبابها ايضا مختلفة فهى
اولى بسرعة التحلل ومثال ذلك ان يكون محبة احد المتحابين لاجل المنفعة ومحبة الاخر لاجل اللذة كما يعرض
ذلك فى المتعاشرين على ان احدهما مغن والاخر مستمع فان المغنى منهما يحب المستمع لاجل المنفعة والمستمع منهما يحب
المغنى لاجل اللذة وكما يعرض ايضا فى العاشق والمعشوق اللذين احدهما يلتذ بالنظر والاخر ينتظر
المنفعة وهذا الصنف من المحبة يعرض فيها ابدا التشاكى والتظلم وذلك ان طالب اللذة يتعجل
مطلوبه وطالب المنفعة يتاخر عنه مطلوبه وليس يكاد الامر يعتدل بينهما ولذلك ترى العاشق يشكو
معشوقه ويتظلم منه وهو بالحقيقة ظالم ينبغى ان يشكى لانه يتعجل لذته بالنظر ولا يرى المكافاة بما يستحق

صاحبه والمحبة اللوامة كثيرة الانواع الا ان الاصل فيها ما ذكرت ويوشك ان يكون المحبة بين الرئيس والمرؤس
والغنى والفقير يعرض بها اللوم والتوبيخ لاجل اختلاف الاسباب ولان كل واحد يستبطئ من المكافات عند الآخر ما
لا يجده عنده فيقع فساد في الثبات بينهما ثم استبطاء ثم ملامات ويزيل ذلك طلب العدالة المبسوطة بينهما والمماليك
الخادمة لا يرضيهم من مواليهم الا الزيادة الكثيرة في الاستحقاق وكذلك الموالي يستبطئون العبيد في الخدمة
والشفقة والنصيحة وفي جميع ذلك يقع اللوم وفساد الضمير فهذه المحبة اللوامة التي لا يكاد يخلو منها الا على
شريطة العدل وطلب الوسط من الاستحقاق والرضا به وهو صعب فاما محبة الاخيار بعضهم بعضا فانها
لا يكون للذة خارجة ولا لمنفعة بل للمناسبة الجوهرية بينهما وهي قصد الخير والتماس الفضيلة فاذا احب احدهم
الآخر لهذه المناسبة لم يكن بينهم مخالفة ولا منازعة ونصح بعضهم بعضا ويلاقوا بالعدالة والتساوي في
ارادة الخير وهذا التساوي في النصيحة وارادة الخير هو الذي يوحد كثرتهم ولهذا حد الصديق بانه آخر هو انت
الا انه غيرك بالشخص ولهذا صار عزيز الوجود ولم يوثق بصداقة الاحداث والعوام ومن ليس بحكيم
لان هؤلاء يحبون ويصادقون لاجل اللذة او المنفعة ولا يعرفون الخير بالحقيقة ولا اغراضهم صحيحة فاما
السلاطين فانهم يظهرون الصداقة على انهم متفضلون ومحسنون الى من يصادقونهم فليس يدخلون
تحت الحد الذي ذكرناه وفي صداقتهم زيادة ونقصان والمساواة عزيز الوجود عندهم وكذلك
حال محبة الوالد للولد لان انواع هذه المحبة مختلفة واسبابها ايضا مختلفة لما قلنا
الا ان محبة الوالد للولد والولد للوالد فان كان بينهما اختلاف ما من وجه فان بينهما اتفاقا
ذاتيا واعني بالذاتي ههنا ان الوالد يرى في ولده انه هو هو وانه نسخ صورته التي يخصه من الانسانية منه
في شخص ولده نسخا طبيعيا ونقل ذاته الى ذاته نقلا حقيقيا وحق له ان يرى ذلك لان التدبير
الالهي بالسياقة الطبيعية التي هي تسخير الله عز وجل هو الذي عاون الانسان على انشاء الولد وجعله السبب
الثاني في ايجاده ونقل صورته الانسانية اليه ولذلك يحب الوالد الولد حتى يطلب جميع ما يحبه لنفسه ويسعى
في تاديبه وتكميله لكل ما فاته في نفسه طول عمره ولا يشق عليه ان يقال له ولدك افضل منك لانه يرى
انه هو هو وكان الانسان اذا تزيد في نفسه حالا فحالا ويرقى في الفضيلة درجة درجة لا يشق عليه ان يقال

يقال له ابنك افضل مما كنت بل يسره ذلك وكذلك يكون حاله اذا قيل له في ولده مثل ذلك ثم يتضمن ايضاً محبة
الوالد على محبة الولد بانه الفاعل له وبانه يعرفه منذ اول كونه ويستبشر به وهو جنين ثم يزداد محبة له مع التربية
والنشو ويتاكد سروره به وتاميله له ويحدث له اليقين بانه باق بصورته وان فني بجسمه مادة فان هذه
المعاني الجلية عند اهل العلم يتراءى للعوام كانها من وراء ستر واما محبة الولد للوالد فانها تنقص عن هذه المرتبة
فان الولد مفعول وبانه لا يعرف ذاته ولا يعلم اثره الا بعد زمان طويل بعد ان يتثبت اياه احساساً ينتفع به دهراً ثم يعقل
بعد ذلك امره بالصحة وعلى مقدار عقله واستبصاره في الامور يكون تعظيمه لوالديه ومحبته لهما ولهذه العلة
وصى الله الولد بوالديه ولم يوص الوالد بولده فاما محبة الاخوة بعضهم بعضاً فلاجل ان سبب كونهم واحد ونسبتهم اليه
بعينه ويجب ان يكون نسبة الملك الى رعيته نسبة ابوية ونسبة رعيته اليه نسبة بنوية ونسبة الرعية بعضهم الى
بعض نسبة اخوية حتى يكون الرياسات محفوظة على شرائطها الصحيحة وذلك لان مراعاة الملك لرعيته هي مراعاة
الاب لولده ومعاملتهم اياه من تلك المعاملة وقد كنا اشرنا الى ذلك وسنزيده بياناً اذا انتهينا الى ذكر سياسة الملك في
كتاب لنا وعنايته برعيته يجب ان يكون عناية الاب باولاده شفقة وحباً وتعطفاً وتعهداً لاخلاقهم لصاحب الشريعة
عليه السلام بل لمشرع الشريعة تعالى ذكره في الرافة والرحمة وطلب المصالح لهم ودفع المكاره عنهم وحفظ النظام فيهم
وبالجملة في كلما يجلب الخير ويمنع الشر وانه عند ذلك يحبه رعيته محبة الولد للاب الشفيق ويحدث بينهما تلك النسبة
وانما يختلف هذه المحبات بالتفاضل الذي يكون بعظم المنافع فيجب ان يكرم الاب كرامة ابوية ويكرم السلطان
كرامة سلطانية ويكرم الناس بعضهم بعضاً كرامة اخوية ولكل مرتبة من هذه المراتب استيهال خاص واستحقاق واجب
له فاذا لم يحفظ بالعدالة زاد ونقص وعرض لها الفساد فانتقلت الرياسات وانعكست الامور فعرض لرياسة الملك
ان ينتقل الى رياسة التغلب وتبع ذلك ان ينتقل محبة الرعية الى البغض وعرض لرياساتهم من ذلك فيصير محبة الاخيار
الى تباغض الاشرار ويعدم الالفة نفاقاً ويطلب كل واحد لنفسه ما يظنه خيراً له وان اضر بغيره ويبطل الصداقة
والخير المشترك بين الناس ويؤل الامر الى الهرج الذي هو ضد النظام الذي رتبه الله لخلقه ورسمه بالشريعة ووفقه
بالحكمة البالغة فاما المحبة التي لا يشوبها الانفعالات ولا يتطرق عليها الآفات وهي محبة العبد لخالقه عز وجل
فانها التي تختص بالعالم الرباني وحده خاصة ولا سبيل لغيره اليها الا بالدعوى الكاذبة وكيف يحبها الانسان ليسلك

محبة من لا يعرفه ولا يعرف نفسه بسبب نعامه الدارة عليه وجهل احسانه المتصلة به فى نفسه وتبالغ الجهل الا ان يصور فى نفسه
صنما ويظنه الخالق تعالى عما يظنه المبطلون فيحبه ويعبده فان اكثر الناس كما قال الله عز وجل وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون ولعمري انا نرى العامة تدعى المحبة لله وهو متصور فى نفسه شخصا او شبحا فيكون عابدا وثنيا من دون
الله وهذا هو الضلال البعيد ومدعوا هذه المحبة لله كثير جدا والمحققون منهم قليل جدا بل هم اقل القليل وهذه
المحبة يتصل بها الطاعة والتعظيم ويتلوها ويقرب منها محبة الوالدين واكرامهما وطاعتهما وليس يرتقى الى محبتهما
شئ من المحبات الاخر الا محبة الحكماء عند تلاميذهم فانها متوسطة بين المحبة الاولى اعنى الالهية وبين المحبة
الثانية وذلك ان المحبة الاولى لا يبلغها شئ من المحبات كما ان اسبابها لا يبلغها شئ من الاسباب والنعم
التى تاتى من قبلها لا يشبهها شئ من النعم واما المحبة الثانية فهى تقرب منها لان سببها هو السبب الثانى فى وجودنا
الحسى اعنى ابداننا وكوننا فاما المحبة الثالثة اعنى محبة الحكماء فهى اشرف واكرم من محبة الوالدين لاجل
ان شرفهم ومرتبتهم يكون من اجل تربيتهم لنفوسنا وهم اسباب وجودنا الحقيقى وبهم وصلنا الى السعادة
التامة فليس يبلغ احد جزاء ولا مكافاة ما يستحقه الاول ولا ما يستاهله الثانى وان اجتهد وبالغ ولا يؤدي
حقوقها ابدا وان خدم باقصى طاعته وغاية وسعه واما محبة طالب الحكمة للحكيم والتلميذ الصالح للمعلم الخير
فانها من جنس محبة الاولى وفى طريقها وذلك لاجل الخير العظيم الذى يشرف عليه ويصل اليه وللرجاء الكريم
الذى لا يتحقق الا بعنايته ولا يتم الا بمطالعته ولانه والد روحانى ورب بشرى واحسانه احسان الهى وذلك انه
يربيه بالفضيلة التامة ويغذوه بالحكمة البالغة ويسوقه الى الحياة الابدية فى النعيم السرمدى واذا كان هو السبب
فى وجودنا العقلى وهو المربى لنفوسنا الروحانية فبحسب فضل النفس على البدن يجب ان يفضل المنعم بهذا على المنعم
بذاك ويقدر فضلها عليه بفضل التربية على التربية فحق ما يجب للتلميذ مع معلم الحكمة فمحبة خالصة شبيهة
بالمحبة الاولى واذا كانت هذه المحبة من جنس تلك المحبة والطاعة له من جنس تلك الطاعة ثم كان سبب
هاتين النعمتين وممحضنا لهما وسائقنا اليهما والى جميع النعم هو السبب الاول الذى هو سبب الخيرات كلها وجب
ان يكون محبتنا له فى اعلى مراتب المحبات وكذلك طاعتنا له وتمجيدنا اياه ويجب على من بلغ هذه المنزلة من
الاخلاق ان يعرف مراتب المحبات وما يستحقه كل واحد من صاحبه حتى لا يبذل كرامة الوالد للرئيس ولا الاجنبي كرامة

كرامة الصديق والسلطان ولا كرامة الوالد العشيرة ولا كرامة الام الاب فان لكل واحد من هولاء واشباههم صنفا
من الكرامة وحقا من الخير ليس للاخر ومتى خلط فيه اضطرب وفسد وبطلت اللذات واذا وفى كل واحد منهم حقه وقسطه
من الخدمة والمحبة والنصيحة كان ما دام لاوجب طاعته وعدالته فيما يجب على صاحبه معاملته وكذلك يجب ان
يجري الامر في موانسة الاصحاب والخلطاء والمتعاشرين في توفية حقوقهم واعطائهم اياه خاصة من غش المحبة
والصداقة كان اسوء حالا من غش الدراهم والدنانير فان الحكيم ذكر ان المحبة المغشوشة تنحل سريعا وتفسد وشيكا
كما ان الدرهم والدينار اذا كانا مغشوشين فسدا وفسدا هذا واجب في جميع انواع المحبات ولذلك يتعاطى العاقل
ابدا نمطا واحدا ويلزم مذهبا واحدا الى ارادة الخير ويفعل جميع ما يفعله من اجل ذاته ويرى خيره عند غيره كما يراه عند نفسه
فاما صديقه فقد قلنا انه هو لا انه غيره بالتخصيص اما سائر مخالطيه ومعارفه فانه يسلك بهم مسلك
اصدقائه وكانه مجتهد في ان يبلغ بهم وفيهم منازل الاصدقاء بالحقيقة وان كان لا يمكن ذلك في جميعهم
فهذه سيرة الرجل الخير في نفسه ورؤسائه واهله وولده وعشيرته واصدقائه وسلطانه فاما الشرير فانه بعيد
من هذه السيرة وينفر منها لرداءة الهيئة التي حصلت له ولحب البطالة والتكاسل عن معرفة الخير والتمييز بينه و
بين الشر وما هو مظنون عنده خيرا وليس خيرا ومن كان على هذه الحال من الشر ورداءة الهيئة كانت
افعاله كلها ردية وذاته ردية ومن كان ذاته ردية هرب من ذاته لان الرداءة مهروب منها واضطر الى
مصاحبة قوم يناسبونه ليفني عمره معهم ويشتغل بهم عن ذاته وما يجد فيها من الاضطراب والقلق وفيها ان
هولاء الاشرار اذا خلوا بانفسهم ذكروا افعالهم الردية وهاجت بهم القوى المتضادة التي يدعوهم الى ارتكاب
الشرور المتضادة فيالمون من ذواتهم ويتشاغب نفوسهم انواع الشغب ويجذبهم القوى التي فيهم وهي
التي لم تروضوها بالادب الحقيقي الى جهات مختلفة من اللذات الردية وطلب الكرامات التي
لا يستحقونها والشهوات المردية التي تهلكهم سريعا فاذا جذبتهم هذه القوى الى جهات مختلفة
احدثت فيهم الاما كثيرة لانه ليس يمكن ان يفرح ويحزن معا ولا يرضى ويسخط في حال واحدة
ولا يقوله ان ينجذب الى جهات مختلفة بحركة واحدة ويستطيع ان يؤلف بين الاضداد حتى يجمع له فهو من
شقائه يهرب من ذاته لانها ردية فاسدة متالمة كثيرة الشغب عليه ويلتمس لعشرته ومخالطته لمن

هو مثله واستوحش الانس فيجد في الوقت راحة بمن يسكن اليه لاجل المشاكلة ثم يعود بعد قليل الى الاهل به ونزاعه في خياله وفناء
فالم به وهرب منه فليس له صديق ولا ذاته ولا له نصيح ولا نفسه ولا يحصل الا على الندامة ولا يرجع الا على الشقوة فاما الرجل الخير
الفاضل فان سيرته حميدة عجيبة فهو يحب ذاته وافعاله ويستبشر بنفسه ويسر به ايضا غيره ويختار كل انسان مواصلته وصحبته
فهو صديق نفسه والناس صديقه ثم وليس يضاده الا الشرير فقط ويعرض لمن هو هذه سيرته ان يحسن الى غيره بقصد
وبغير قصد وذلك ان افعاله لذيذة محبوبة واللذيذ المحبوب مطلوب مختار ويكثر المتقبلون له والمحققون به الآخذون
عنه وهذا هو الاحسان الذاتي الذي يبقى ولا ينقطع ويتزيد على الايام ولا ينتقص فاما الاحسان العرضي الذي
ليس بخلقي ولا هو سيرة لصاحبه فانه ينقطع ويلحق فيه اللوم والمحبة التي يعرض منه يلحق بالمحبات اللوامة ولذلك
يوصي صاحبه بتربيته فيقال له رب الصنيعة اصعب من ابتدائها والمحبة التي تحدث بين المحسن والمحسن اليه
يكون فيها زيادة ونقصان اعني ان محبة المحسن للمحسن اليه اشد من محبة المحسن اليه للمحسن واستدل ارسطاطاليس على ذلك
ان المقرض وصانع المعروف يهتم كل واحد منهم لمن اقرضه واصطنع المعروف عنده ويتعاهده ويهتان سلامته
اما المقرض فربما اراد سلامة المقرض لمكان الاخذ لا لمكان المحبة اعني انه يدعو له بالسلامة والبقاء وتسويغ
النعمة والكفاية من كل وجه ليصل الى حقه واما المقرض فليس يعنى كبير عناية بالمقرض ولا يدعو له بهذه
الدعوات فاما مصطنع المعروف فانه بالحق الواجب يحب الذي اصطنع اليه معروفه وان لم ينتظر منه منفعة
ذلك ان كل صانع فعل جيد محمود يحب مصنوعه فاذا كان المصنوع مستقيما يجب ان يكون معشوقا في الغاية فقد تبين
ان محبة المحسن اشد من محبة المحسن اليه فاما المحسن اليه فشوقه الى الاحسان اشد من شوقه الى المحسن ايضا فان المحبة المكتسبة بالاحسان
المرباة على طول الزمان يجري مجرى القنيات التي يتعب في تحصيلها وما يكتسب منها على سبيل التعب والنصب يكون المحبة له
والضن به اكثر ومن وصل الى المال بغير تعب لم يكترث له ولم يشح عليه وبذله في غير موضعه كما يفعل الوراث ومن يجري
مجراهم فاما من يصل اليه بتعب ويتأذى في طلبه وسعي في جمعه فانه لا محالة تكون شديد الضن به والمحبة له ولهذه العلة
صارت الام اكثر محبة للولد من الاب لما يعرض لها من الحنين والولادة ومقاساة ما لا يعرض للاب وبهذا النوع من الحب يطلب الشاعر
شعره ويعجب به اكثر من عجب غيره وكل فاعل فعلا يتعب به فهو يحب فعله ذلك وايضا فان المنفعل لا يتعب كتعب الفاعل لان الاخذ
منفعل والمعطي فاعل فمن هذه الوجوه تبين ان مصطنع المعروف يجب ان يحسن اليه محبا شديدا ومن الناس من

يصطنع المعروف لاجل الخير نفسه ومنهم من يصنعه لاجل الذكر الجميل ومنهم من يصنعه بالتطول ومن البين ان اعلاهم
مرتبة من يصنعه لذاته اعنى لذات الخير وصاحب هذه المرتبة لايعدم الذكر الجميل والثناء الباقي ومحبة من لم يصنع
المعروف عنده وان لم يقصد ذلك بالفعل ولا النية ولما حكمنا فيما تقدم حكما مقبولا لا يرده احد وهو ان
كل انسان يحب نفسه وكانت هذه المحبة لا محالة تنقسم الاقسام الثلثة التي ذكرناها اعنى اللذة والنافع والخير وجب من
ذلك ان يكون من لا يميز بين هذه الاقسام حتى يعرف الافضل والافضل منها لا يدرى كيف يحسن الى نفسه التي
هي محبوبته فيقع في ضروب من الخطاء لجهله بالخير الحقيقي فلذلك صار بعض الناس يختار لنفسه سيرة اللذة وبعضهم
سيرة الكرامة والنافع لانهم لا يعرفون بما هو افضل منها فاما من عرف سيرة الخير وعلو مرتبته فهو لا محالة يختار لنفسه
افضل السير واكرم الخيرات فلا يوثر اللذة البهيمية ولا اللذات الخارجة عن نفسه لانها عرضية كلها ومستحيلة ومضمحلة لكنه يختار
لها اثر الخيرات واعلاها واعظمها وهو الخير الذي لها بالذات اعنى الذي ليس بخارج عنها وهو الذي يناسب جزئه الالهي ومن [illegible]
بهذه السيرة واختارها لنفسه فقد احسن اليها واثرها في الشرف الاعلى واهلها لقبول الفيض الالهي واللذة الحقيقية التي
لا افتراق ابدا واذا كان بهذه الحال فهو لا محالة يفعل سائر الخيرات الاخر وينفع غيره ببذل الاموال والسماحة بجميع ما يتنافس
الناس عليه ويحصل صديقه من ذلك بكل ما يضيق عنه ذرع اصحابه غير الباقية فيصير معظما عند كل احد لاسيما
عند صديقه وايضا فقد بينا فيما تقدم ان الانسان مدني بالطبع وشرحنا معنى المدني فاذن بالواجب يكون تمام
سعادته الانسانية عند اصدقائه ومن كان تمامه عند غيره فمن المحال ان يصل مع الوحدة وبالتفرد الى سعادته
التامة فالسعيد اذن من اكتسب الاصدقاء واجتهد في بذل الخيرات لهم ليكتسب بهم ما لا يقدر ان يكتسبه بذاته
فيلتذ بهم ايام حيوته ويلتذون ايضا به وقد شرحنا حال هذه اللذة وانها باقية الهية غير مضمحلة ولا متغيرة وهي
في جملة الناس والمحبوبون منهم قليل جدا واما اصحاب اللذات البهيمية والنافعة فيها فكثير جدا وقد يكتفى من
هؤلاء بالقليل كالابازير في الطعام وكالملح خاصة فاما الصديق الاول الذي وصفناه فلا يمكن ان يكون
كثير العدد ولانه محبوب بالطوا افراط المحبة لا يصح ولا يتم الا للواحد فاما حسن العشيرة وكون اللقاء والسعي لكل
واحد بسيرة الصديق الحقيقي فيبذول لاجل طلب الفضيلة ولانا قد قلنا فيما تقدم ان الرجل الخير الفاضل
يسلك في عشيرته مع من فيه مسلك الصديق وان لم يتم الصداقة الحقيقية فيهم وارسطاطاليس يقول

ان الانسان يحتاج الى الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال لحاجة اليه في كلي الحالتين وذلك انه عند سوء الحال
يحتاج الى المؤانسة والى من يحسن اليه ولعمري ان الملك العظيم يحتاج الى من يصطنعه ويصنع اليه صنائعه كما
ان الفقير من الناس يحتاج الى صديق يصطنعه ويصنع عنده المعروف وطلبه من اجل فضيلة الصداقة ليشارك
الناس بعضهم بعضا ويتعاشرون عشرة جميلة ويداعب بعضهم بعضا ويجتمعون في الرياضات والصيد والدعوات
وامثال العيش ثم قال بهذه الالفاظ ان لاكثر التعجب ممن يعلم اولاده اخبار الملوك ووقايع بعضهم ببعض وذكر
الحروب والضغاين ومن انتقم او توثب على صاحبه ولا يخطر بباله امر المودة واحاديث الالفة وما يحصل من
الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبة والانس فانه لن يستطيع احد من الناس ان يعيش بغير المودة وان نال الدنيا
الدنيا بجميع رغايبها فان ظن احد ان امر المودة صغيرة لصغير من ظن ذلك وان قدرانه موجود في الدنيا انما اصيغه ومعاصر
بحيث صداقة يوثق بها عند البلوى ثم قال لكني اعتقد واقول ان قدر المودة وخطرها عندي اعظم من جميع ذهب كنوز
قارون ومن ذخاير الملوك قاطبة ومن جميع ما ينافس فيه اهل الارض من الجواهر ما يحوي الدنيا بر وبحرا ويتعالى
فيه من الحرث والبناء وساير الامتعة والاثاث ولا يعدل جميع ذلك ما اخترت لنفسي من فضيلة المودة وذلك
ان جميع ما الحصيته لا ينفع صاحبه اذا حلت به لوعة مصيبة في صديقه ولا يقوم له جميع الارض مقام صديق
يثق به في مهم يساعده عليه وسعادة عاجلة او اجلة يتولاه بها فطوبى لمن اوتي هذه النعمة العظيمة وهو خلو من
السلطان واعظم طوبى لمن اوتيه في سلطان وذلك ان من باشر امور الرعية واراد ان يعرف احوالهم وينظر في
امورهم حق النظر لم يكفيه اذنان وعينان ولا قلب واحد فان وجد اخوانا ذوي ثقة وجدهم عيونا واذانا وقلوبا
كانما باجمعها له فقريب عليه اطرافها واطلع من ادنى امره على اقصاه وراى الغايب بصورة الشاهد فاني يوجد هذه
الفضيلة الا عند الصديق الصدوق وكيف يطمع فيها عند غير الرفيق الشفيق واذ قد من علينا هذه النعمة الجليلة
الخطيرة فقد وجب علينا ان ننظر كيف نقتنيها ومن اين نطلبها واذا حصلت لنا كيف نحتفظ بها
لئلا يصيبنا فيها ما اصاب الرجل الذي ضرب به المثل حين طلب شاة فوجدها وامرغا عنها وظن الغنم
فاخذه الشاعر وقال اعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم لا سيما وقد علمنا ان لا نبالي
بين جميع الحيوان يتصنع حتى يظهر للناس منه ما لا حقيقة له فيبذل ماله وهو بخيل ليقال هو

هو جهاد ويقدم في بعض المواطن على بعض المخاوف ليقال هو شجاع فاما سائر الحيوان فانه ان خاف اعلا قتالا ما يسره
للناس من اول الامر لا يتصنع فيها وكذلك يكون حال من لا يعرف الحشائش والنباتات اذا ما اشتبه في شيء منه
حتى لم يباينا ول منها شيئا وهو يظنه حلوا فاذا طعمه وجده مرا وربما الحقه غذاء فيكون سميا فينبغي ان يتدرب
المتطلع في تحصيل هذه النعمة الجليلة حتى لا يقع موقع المتداحين الذين يتسترون لما يهونه الغنم اذا
فاذا حصلوها في شباكهم افترسوها كما يفترس السباع اكيلتها والطريق الى السلامة من هذا النفاق ما
اخذناه عن سقراط الحكيم فاذا اردنا ان نستفيد صديقا ان نسأل عنه كيف كان في صباه مع والديه ومع اخوته
وعشيرته فان كان صالحا معهم فارج الصلاح منه والا فابعد منه واياك واياه قال ثم اعرف بعد ذلك
مع اصدقائه فتلك واضفها الى سيرته مع اخوته وابائه ثم تتبع امره في شكره من يجب عليه شكره او كفره
النعم ولست اعني بالشكر المكافاة التي ربما عجز عنها بالفعل ولكن ربما عطل نيته في الشكر فلا يكافي بما
يستطيع بما يقدر عليه في تتميم الجميل الذي يسدى اليه وراه حقا له او يتكاسل عن شكره باللسان وليس احد
يتعذر عليه ذكر النعم التي تولاها والثناء على صاحبه والاعتداد له بها وليس شيء اشد اجتياحا للنعم من الكفر
وحسبك ما اعده الله للكافر نعمته من النقم مع تعاليه عن الاستضرار بالكفر ولا شيء اجلب للنعم ولا اشد تثبيتا
لها من الشكر وحسبك ما وعد الله الشاكرين مع استغنائه عن الشكر فمن عرف هذا الخلق ممن يريد مواخاته واحذر ان
يبتلي بالكفور اللئيم المستقيم لايادي الاخوان واحسان السلطان ثم انظر ميله الى الراحات وتباطيه عن الحركات
التي فيها ادنى نصب فان هذا خلق ردي يتبعه الميل الى اللذات فيكون شبيها بالتقاعد عما يجب عليه من الحقوق ثم انظر
نظرا ثانيا في محبته للذهب والفضة واستهتاره بجمعهما وحرصه عليهما فان كثيرا من المتعاشرين يتظاهرون
بالمحبة ويتهادون ويتناصحون واذا وقعت بينهم معاملة في هذين الجوهرين هر بعضهم على بعض هرير الكلاب و
خرجوا الى ضروب العداوات ثم انظر في محبته للرياسة والتفريط فان من احب الغلبة والترأس وان يفرط ولا
ينصفك في المودة ولا يرضى منك بمثل ما يعطيك ويحمله الخيلاء والتثبيت على الاستهانة باصدقائه و
طلب الترفع عليهم وليس يتم مع ذلك مودة ولا غبطة ولا بد من ان يزول الحال بينهم الى العداوات والاحقاد والاضغان
الكثيرة ثم انظر هل هو ممن يستهتر بالغناء والجرن وضروب الملاهي واللعب وسماع المجون والمضاحكات فان كان

فما اشغله عن مساعدات اخوانه ومواساتهم وما اشده به عن مكافاة باحسان واحتمال النصب في طلبه تحصيل فيه
مشقة وان كان بريا من هذه الخلال فليحتفظ به كل غبطة وليكتف بواحد ان وجد فان الكمال عزيز وايضا فان من كثر
اصدقاؤه لم يف بحقوقهم واضطر الى الاغضاء عن بعض ما يجب عليه الى التقصير في بعض وربما ترادفت عليه احوال
متضادة اعني ان تدعو مساعدة صديق ان يسر بسروره ومساعدة اخر ان يغتم بغمه وان يسعى لسعي واحد ويقعد
بقعود اخر مع احوال يشبه هذه كثيرة مختلفة ولا ينبغي ان يحملك ما خصصتك عليه من طلب الفضائل في من
تصادقه على تتبع صغائر عيوبه فيصير من ذلك الى ان لا يسلم لك احد فتبقى خلوا من الصديق بل ان تغضي عن
المعائب اليسيرة التي لا يسلم من مثلها البشر فتنظر ما تجده في نفسك من عيب فتحتمل مثله من غيرك واحذر
عداوة من صادقته او خالطته مخالطة الصديق واستمع قول الشاعر — عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب * فان الداء اكثر ما تراه * يكون من الطعام او الشراب * فلذلك يجب عليك
متى حصل لك صديق ان تكثر مراعاته وتبالغ في تفقده ولا تستهين باليسير من حقه عند مهم يعرض له
او حادث يحدث به فاما في اوقات الرخاء فينبغي ان تلقاه بالوجه الطلق والخلق الرحب وان تظهر
له في عينك وحركاتك وبشاشتك وارتياحك عند مشاهدتك اياه ما يزداد به في كل يوم وكل حال
ثقة بمحبتك وسكونا الى عشرتك وترى السرور في جميع اعضائك التي يظهر السرور فيها اذا لقيك فان الفرح
الشديد عند طلعة الصديق لا يخفى وسرور الشكل بالشكل امر غير مشكل ثم ينبغي ان تفعل مثل ذلك بمن يعلم انه
يؤثره ويحبه من صديق او ولد او تابع او حاشية وتثني عليهم من غير اسراف يخرجك الى الملق الذي
يمقتك عليه ويظهر له منك تكلف فيه فانما يتم لك ذلك اذا توخيت الصديق في كل ما يثني عليه والزم هذه
الطريقة حتى لا يقع منك توان فيها بوجه من الوجوه وفي حال من الاحوال فان ذلك يجلب المحبة الخالصة ويكسب الثقة
التامة ويفيدك صحبة الغرباء ومن لا معرفة له بك وكما ان الحمام اذا الف بيتا وانس به السكنا وطاف بها جلبت
اشكاله وامثاله وكذلك حال الانسان اذا عرف بالخلط باخلاط الرغب الانس بل يزيد على الحيوان غير
الناطق بحسن الوصف وجميل الثناء ونشر المحاسن واعلم ان مشاركة الصديق في السراء اذا كنت فيها وان كانت عليهم
عليك حتى لا تستاثر ولا تختص بشيء منها فان مشاركته في الضراء اذا لحقته يجب من تقنها عند العقلاء ونظرها

ذلك اذا اصابته نكبة او لحقته مصيبة او غيرته الدهر كيف يكون مواساتك له بنفسك ومالك وكيف يظهر
له تفقدك ومراعاتك ولا تنتظر به ان يسألك صريحا او تعريضا بل اطلع على قلبه واسبق الى ما في نفسه وشاركه
في منشطه ومكرهه فيما يخصه عنه وان بلغت مرتبة من السلطان والغنى فلا تغير اخلاقك فيها مع اخوانك فيها من غير امتنان ولا
تطاول وان رايت من بعضهم تواضعا لك او نقصانا مما عهدته فداخله زيادة مداخلة وانبسط به واحذر
اليك فانك ان افعلت من ذلك او داخلك شيء من الكبر والصلف عليهم انتقض حبل المودة وانتكثت قوته ومع ذلك
فلست تأمن من ان يزول عملك فيستحيي منه ويضطر الى قطعهم حتى لا ينظر اليهم ثم حافظ على هذه الشرائط
بالمداومة عليها ليبقى المودة على حالة واحدة وليس هذا الشرط خاصا بالمودة بل هو مطرد في كل ما يحصل
اعني ان مركوبك وملبوسك ومنزلك متى لم تراعها مراعاة متصلة فسدت وانتقضت فاذا كان [illegible]
حايطك وسطوحك كذلك ومتى غفلت وتوانيت لم تأمن نقوضه وهدمه فكيف ترى الخوف من رجوع
في كل خير وينتظر مشاركته في السراء والضراء ومع ذلك كان ضرر تلك تختص بمنفعة واحدة فاما صديقك
فوجوه الضرر الذي يدخل عليك بجفائه وانتقاض مودته كثيرة عظيمة وذلك انه ينقلب عدوا ويتحول عنا
مضادا لك لاتأمن غوايله وعداوته مع عدمك الرغايب والمنافع به وينقطع رجاؤك فيما لا تجد له خلفا و
لا تستفيد منه عوضا ولا يسد مسده شيء واذا راعيت شروطه وحفظت حقوقه والزمتها بالمداومة امنت جميع ذلك
ثم احذر المراء معه ومخاصمته وانكاره ولجاجا ان يحدث مع كل واحد فان مماراة الصديق تقلع المودة من اصلها
لانها سبب الاختلاف والاختلاف سبب التباين الذي هربنا منه الى ضده وقصدنا اثره ولحرصنا عليه لا الالفة
التي طلبناها واثبتنا عليها وقلنا ان الله عز وجل دعا اليها بالشريعة القويمة واني لاعرف من يؤثر المراء
ويزعم انه يقدح خاطره ويشحذ ذهنه ويثير شكوكه فهو يستعمل في المحافل التي يجمع رؤسا اهل النظر ومتعاطي العلوم
مماراة صديقه ويخرج في كلامه معه الى الفاظ جهال العامة وسقاطهم ليزيد في خجل صديقه وليظهر
انقطاعه وبلادته ولا يبقى يفعل ذلك به في خلوته ومذاكرته له وانما يفعله حيث يظن انه ادق نظرا والحصر حجة واعرب
علما واحدة قريحة مما كتب لا شبهة لاباهل البغي وجبابرة اصحاب الاموال والمتشبهين بهم من اهل البذخ فان هؤلاء
يستهتر بعضهم ببعض ولا يزال يصغر صاحبه ويزري على مروته ويطلب عيوبه ويتتبع عثراته ويبالغ

كل واحد فيما يقدر عليه من مساءة صاحبه حتى يتادى بهم الحال الى العداوة التامة التي تكون معها السفك وازالة الحرمة
وربما ينتهى ذلك الى سفك الدم وانواع الشر وكيف يثبت مع هذا محبة او يرجى الفة ثم احذر في صديقك ان
كنت محققا بالعلم ومتحليا بادب ان يخل عليه بذلك الفن ويرى فيك انك تحب الاستبداد دونه والاستيثار
عليه فان اهل العلم لا يرى بعضهم في بعض ما يراه اهل الدنيا بينهم وذلك ان متاع الدنيا قليل واذا ازدحم عليه
قوم تلم لبعضهم مال نقص حظ كل واحد من حظ الآخر لا محالة لانه بالضد وليس ينقص احدا ما ياخذه غيره منه بل
تركوا على النفقة ويتوافر مع الصدقة ويزيد على الانفاق وكثرة فاذا بخل صاحب علم بعلمه فانما ذلك لاحوال فيه كلها
قبيحة وهي انه اما ان يكون قليل البضاعة منه فهو يخاف ان يفنى ما عنده او يرد عليه ما لا يعرفه فيزول شوقه
عند الجهال واما ان يكون مكتسبا به فهو يخشى ان يضيق مكسبه بنقص حظه منه واما ان يكون حسودا فالحسود
بعيد من كل فضيلة لا يود احدا ولا يوده احد واني لاعرف من لا يرضى بان يبخل بعلم نفسه حتى يبخل بعلم غيره ويكثر
عتبه ويسخطه على من يفيد غيره من التلامذة المستحقين لفائدة العلم وما اكثر ما يتوصل الى اخذ الكتب المولفة
من اصحابها ويمنعهم مثلها وهذه خلق لا يبقى بعده مودة بل يكسب صاحبه عداوة لا يحبها ويحسم اطماع
صاحبه من صداقته ثم احذر ان ينبسط اصحابك ومن يخلو بك من ايقاعك ويحتمل احد منهم على ذكر شيء من
اسباب صديقك بغير الجميل فضلا عن ذكره في نفسه ولا يخوض في غيبة شيء يتصل به فضلا عن عيبه ولا يطعن في
ذلك احد من اسبابك والمتصلين بك جدا ولا هزلا وكيف يحتمل ذلك فيه وانت بعينه وقلبه وخليفته على
الناس بل انت هو مؤنه ان بلغه شيء مما حدثك منه لم يشك ان ذلك كان عن رايك وهواك فانقلب
عدوا ونفر عنك نفور الصيد فان عرفت منه انت عيبا فوافقه عليه موافقة لطيفة ليس فيها غلظة فان
الطبيب الرفيق ربما بلغ بالدواء اللطيف ما يبلغه غيره بالشق والقطع والكي بل ربما بالغذاء الى الشفاء و
اكتفى به عن المعالجة بالدواء ولست احب ان تغضي عما تعرفه في صديقك وان تركت موافقته عليه فليس من حق الصداقة
ان يعزو ويبذل لعيون الاضداد حتى يعيبوه ويتلقوه ثم احذر النميمة وسماعها وذلك ان الاشرار يدخلون بين الاخوان
في صورة النصحاء فيوهمونهم النصيحة وينقلون اليهم في عرض الاحاديث اللذيذة اخبار اصدقائهم محرفة
مموهة حتى اذا تجاهم واغلبهم بالخبث المختلف صرحوا لهم بما يفسد مودتهم ويشوه وجوه اصدقائهم الى

الى ان يبغض بعضهم بعضا وللقدما في هذا المعنى كتب مولفة مفردة يحذرون فيها من النميمة ويشبهون صورة النمام بمن يحك
بالخافين اصول البنيان القوية حتى يوثر فيها اثرا لا يزال يزيد وينمى حتى يدخل فيه المعول فيقلعه من اصله ويصرعه
الامثال الكثيرة الشبيهة بحديث الثور مع الاسد في كليلة ودمنه ونحن نكتفي بهذا القدر من الايماء لئلا نخرج
عن رسم كتابنا وعما بنينا عليه مذهبنا من الايجاز مع الشرح ولسنا نترك مع الايجاز والاختصار تنظير هذا
الباب وتكريره عليك ليعلم ان القدماء انما الفوا فيه الكتب وضربوا له الامثال واكثروا فيه من الوصايا
لما راوه من النفع العظيم عند السامعين له من الاخبار ولما خافوه من الضرر الكثير على من يستهين به من الاعام
وليعلم ان المثل المضروب في السباع القوية اذا دخل بينها الثعلب الخداع على ضعفه فاهلكها ودمر عليها في
الملوك ايضا اذا دخل بينهم اهل النميمة على صورة المتنصحين حتى يفسد وانياتهم على وزرائهم المبالغين في
نصيحتهم المجتهدين في تثبيت ملكهم الى ان يتغيظوا عليهم ويصرفوا عيونهم عنهم ويصيروا من بعد محبتهم وايثارهم
اياهم على اولادهم الى ان يملوا عيونهم منهم والى ان يبطشوا بهم قتلا وتعذيبا وهم غير مذنبين ولا مجترمين ولا
مستحقين الا الكرامة والاحسان اذا بلغ من الاضرار والافساد ما بلغه من هولاء فكم بالحري ان يبلغ منا اذا لم نحذره
في اصدقائنا الذين اختبرناهم على الايام وادخرناهم للشدائد واحللناهم محل ارواحنا ونحوناهم تفضيلا
واكراما وتبين لك من جميع ما قدمناه ان الصداقة واصناف المحبات التي تتم بها سعادة الانسان من
حيث هو مدني بالطبع انما اختلفت ودخل فيها ضروب الفساد وزال عنها معنى التاحد وعرض لها الانتقاض
حتى احتجنا الى حفظها والتعب الكثير بنظمها لاجل النقصانات الكثيرة التي فينا وحاجتنا الى تمامها مع المواد
التي يعرض لنا من الكون والفساد فان الفضايل الخلقية انما وضعت من اجل المعاملات والمباشرات
التي لا يتم الوجود الانساني الا بها وذلك ان العدل انما احتيج اليه لتصحيح المعاملات وليزول به معنى الجور
الذي هو رذيلة عن المتعاملين وانما وضعت العفة فضيلة لاجل اللذات الردية التي تجني الجنايات العظيمة
على النفس والبدن وكذلك الشجاعة وضعت فضيلة من اجل الامور الهائلة التي يجب ان يقدم الانسان
عليها في بعض الاوقات ولا يهرب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التي وضعناها وخصصناها على
اقتنائها وايضا فان جميع هذه الفضايل يحتاج الى اسباب خارجة عنا والى افعال كثيرة الفنون اعني ان

احتاج الى اسباب من الاموال والى اكتسابها من وجوهها ليمكنه ان يفعل بها افعال الاحرار والسادة الى
الى مثل ذلك ليجازى من عاشره بجميلة ويكافى من عامله باحسان وبهما لا يقوم الا الابدان ولا القنية مما
هو خارج عنهما على حسب تقسيمنا السعادات فيما مضى وكلما كانت الحاجات اكثر والحاجة فيها الى الموارد الخارجية
عنا اكثر فهذه حال السعادة الانسانية التى لا تتم الا بالافعال البدنية والاحوال المدنية والاخوان الصالحين
والاصدقاء المخلصين وهى كما ترى كثيرة والتعب فيها عظيم ومن قصر فيها قصرت به السعادة تخصنا
به ولذلك صار الكسل ومحبة الراحة من اعظم الرذائل لانهما يحولان بين المرء وبين جميع الخيرات ويبطلان
ويسلخان الانسان من الانسانية ولذلك ذممنا المتوسمين بالزهد اذا تفردوا عن الناس وسكنوا الجبال
والمغارات واختاروا التوحش الذى هو ضد التمدن لانهم ينسلخون عن جميع الفضائل الخلقية التى
عددناها كلها وكيف يعف ويعدل ويسخو ويشجع من فارق الناس وتفرد عنهم وعدم الفضائل الخلقية
وهل هو الا بمنزلة الجماد والميت فاما صناعة الحكمة والانصراف الى التصور العقلى واستعمال الآراء الالهية
فانه خاص بالجزء الالهى من الانسان وليس يعرض شئ من الآفات التى تعرض للحبائب الخلقية ولا يلحقها ضرب
من الفساد ولذلك قلنا انها لا تقبل القسمة ولا نوعا من انواع الشر ولانها الخير الاول المحض وهو الخير الالهى
الذى لا يشوبه مادة ولا يلحقه الشرور التى فى المواد وما دام الانسان يستعمل الاخلاق والفضائل الانسانية فانما
يعقل منه الخير الاول وهذه السعادة الالهية ولكن ليس يتم له هذا الابتهاج ما لم يحصل تلك الفضائل فى
نفسه ثم اشتغل عنها بالفضائل الالهية فقد اشتغل بذاته حقا ونجا من مجاهدات الطبيعة والاهواء ومن
مجاهدات النفس قواها وصار مع الارواح الطيبة واختلط بالملائكة المقربين فاذا انتقل من وجوده
الاول الى وجوده الثانى حصل فى النعيم الابدى والسرور الالهى السرمدى وقد اطلق ارسطاطاليس جميع
هذه الالفاظ وقال ان السعادة التامة الخالصة هى لله عز وجل ثم للملائكة والمتألهين قال ولا ينبغى ان
يضيف الى الملائكة تلك الفضائل التى عددناها فى سعادات الانسان فانهم لا يتعاملون ولا يكون عند احد منهم
وديعة فيحتاج الى ردها ولا لاحد منهم تجارة فيحتاج الى العدالة ولا يفزع من شئ فيحتاج الى النجدة ولا له نفقات فيحتاج
الى الذهب والفضة ولا له شهوات فيحتاج الى ضبط النفس والى فضيلة العفة ولا هو مركب من الاسطقسات

الاستقصات الاربعة التي تتحلل من اضدادها فيحتاج الى الغذاء فاين هؤلاء الابرار المطهرون من خلق الله عز وجل
غير محتاجين الى الفضائل الانسية والله تقدس تعالى اجل واعلى من ملائكته فيجب ان ننزهه عن جميع
ما ذكرناه من فضائل الانسان وانما نذكره بالخير البسيط الذي يشبهه وننسب اليه الامور العقلية التي يليق
بمجده الواجب الذي لا مرية فيه لا يحبه الا السعيد الخير من الناس الذي يعرف السعادة والخير بالحقيقة
فلذلك يتقرب اليه بما يجده ويطلب مرضاته بقدر طاقته ويتقبل افعاله بحسب استطاعته ومن احب الله تعالى
هذه المحبة وتقرب اليه هذا التقرب واطاعه هذه الطاعة احبه الله وتولاه وارضاه واستحق خلته التي اطلقتها الشريعة
في البشر حتى قيل ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله صلى الله عليهما وسلم فاما ارسطاطاليس فانه اطلق بعد
ذلك ما لعله غير مطلق في لغتنا وذلك انه قال من احبه الله تعالى تعاهده كما يتعاهد الاصدقاء بعضهم
بعضا واحسن اليهم ولذلك تظن بالحكيم وضروب الفرح الغريبة ونرى من تحقق بالحكمة انه يلتذ غاية الالتذاذ
ولا يلتفت الى غيرها ولا يعرج على سواها واذا كان الامر على ما وصفنا فالحكيم السعيد التام السعادة والحكمة
هو الله عز وجل ليس يحب الا السعيد الحكيم بالحقيقة لان الشبيه انما يسر بشبيهه فقط ولذلك صارت هذه السعادة
ارفع واعلى من تلك السعادة التي ذكرناها وهي غير منسوبة الى الانسان لانها مهذبة من الحيوة الطبيعية مبراة
من القوى النفسانية مباينة لجميعها غاية المباينة وانما هي موهبة الهية يهبها لمن اصطفاه من عباده ثم لمن
التمسها منه وسعى لها سعيها ويرغب فيها وانصب مدة حيوته واحتمل المشقة والتعب فان من يصبر على ادامة التعب اشتاق
الى اللعب وذلك ان اللعب يشبه الراحة والراحة ليست من تمام السعادة ولا من اسبابها وانما يميل الى الراحات
البدنية من كان طبيعي الشكل صبي الجهاد كالعبيد والصبيان والبهائم وليس احد ينسب الحيوان غير الناطق ولا
الصبيان والعبيد الى السعادة الا من كان مناسبا لهم واما العاقل الفاضل فانه يطلب بهمة اعلى المراتب وارسطو
يقول ليس ينبغي ان يكون همم الانسان انسية وان كان انسانا ولا يرضى بهمم الحيوان الميت وان كان هو ايضا ميتا
بل يقصد بجميع قواه ان يحيى حيوة الالهية فان الانسان وان كان صغير الجثة فانه عظيم بالحكمة شريف بالعقل و
العقل يفوق جميع الخلائق لانه الجوهر الرئيس المستولي على هذا الكل بامر مبدعه تعالى جده وقد قلنا فيما تقدم ان الانسان
ما دام في هذا العالم محتاج الى حسن الحال الخارجة عنه ولكن لا ينبغي ان ينصرف الى طلب تلك بقوته كلها ولا

لطلب الاستكثار منه فقد يصل الى الفضيلة من ليس بكثير المال ولا الملازم اليسار فان الفقير من المال والمقل يصل الى
الكريمة ولذلك قال الحكماء ان السعداء هم الذين رزقوا القصد من الخيرات الخارجة عنهم وفعلوا الافعال التي
يقتضيها الفضيلة وكانت قبيلتهم قليلة فهذا كلام الحكيم في هذه المرتبة التي وصلنا الكلام فيها وهو يقول بعد ذلك
لا يكفي في معرفة الفضائل كفاية بل الكفاية في العمل بها واستعمالها ومن الناس من ينهض الى الفضائل وينفعه
الموعظة ويرغب في الخير وهؤلاء قليلون وهم الذين ينتفعون بجميع الرذائل والشرور وذلك هو الفطرة
الجيدة والطبع الفائق ومنهم من ينقاد الى الخيرات حتى يمتنع من الرذائل والفسوق والفزع والوعيد والانذار
من العذاب فيتهرب من الجحيم والهاوية وما اعد فيهما من الالام ولذلك حكمنا ان بعض الناس اخيار
بالطبع وبعضهم اخيار بالشرع وبالتعليم الشريعة تجري لهؤلاء مجرى الماء للغصان الذي يسيغ به غصة
فمن لا ينقاد لها فهو كالشرق بالماء لا يوجد له ما يسيغ به غصة وهو الهالك الذي لا حيلة فيه ولا طمع
في اصلاحه وبرئه ولهذه العلة قلنا ان من كان بالطبع خيرا فاضلا فذلك تحبه الله تعالى اياه وليس
امره الينا ولا نحن كاسبيه بل الله عز وجل ومثل هذا هو الذي يقول ارسطو ان عناية الله به اكثر فحصل
مما قدمنا ان اصناف السعداء من الناس اربعة وهم موجودون بالتصفح والحس وذلك انا نجد من الناس
من هو خير فاضل من مبدأ كونه نرى فيه النجابة طفلا نتفرس فيه الفلاحة ناشئا بان يكون حييا كريم الخيم يؤثر
مجالسة الاخيار ومؤانسة الفضلاء وينفر من اضدادهم وليس يكون كذلك الا بعناية يلحقه من اول مولده
كما قلنا ونجد ايضا من لا يكون بهذه الصفة من مبدأ كونه بل يكون كسائر الصبيان الا انه يسعى ويجتهد في طلب
الحق اذا رأى اختلاف الناس فيه ولا يزال كذلك حتى يبلغ مرتبة الحكماء اعني ان يصير عالما حكيما وعاملا صوابا
وليس يبلغ هذه الدرجة الا بالتفلسف واطراح الشهوات وسائر ما حذرنا منه ونجد ايضا من تؤخذ عنده السيرة
الحسنة على اكراه اما بالتاديب الشرعي واما بالتعليم الحكمي ومعلوم ان المطلوب هو القسم الثاني اذ كانت الاقسام
الباقية هي من خارج ولا يمكن ان يطلب اعني ان من يتفق له في اصل مولده السعادة ومن يكره عليها ليس من اقسام
الطالب المجتهد وتبين ايضا مقام المجتهد ومنزلته من السعادة التامة الحقيقية وانه وحده من بين سائر الطبقات
هو السعيد الكامل المتقرب الى الله عز وجل المحب المطيع المستحق خلته ومحبته كما تقدم وصفه تمت المقالة

المقالة الخامسة نذكره في هذه المقالة بعون الله وتأييده شفاء الامراض التي تلحق نفس الانسان وعلاماتها ونذكر الاسباب والعلل التي تولدها وتحدث منها فان الحذاق لا يقدمون على علاج مرض جسماني الا بعد ان يعرفوه ويعرفوا السبب والعلة فيه ثم يرسمون معاملته باضداده من العلاجات ويبتدءون من الحمية والادوية اللطيفة الى ان ينتهوا في بعضها الى استعمال الاغذية الكريهة والادوية البشعة وفي بعضها الى القطع بالحديد والكي بالنار ولما كانت النفس قوية الهيئة غير جسمانية وكانت مع ذلك مستعملة المزاج خاص مربوطة به ربطا طبيعيا الهيا لا يعارف احدهما صاحبه الا بمشية الله الخالق جل وعلى وجب ان يعلم ان احدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره فيصح بصحته ويمرض بمرضه ونحن نرى ذلك مشاهدة وعيانا بما نظهر لنا من افعالهما وذلك انا كما نرى المريض من جهة بدنه لا سيما ان كان سبب مرضه احد الجزئين الشريفين اعني الدماغ والقلب بتغير عقله ويمرض نفسه حتى ينكر ذهنه وفكره وتخيله وسائر قوى نفسه الشريفة ويحس هو ايضا من نفسه بذلك كذلك ايضا نرى المريض من جهة نفسه

اما بالغضب واما بالحزن واما بالعشق واما بالشهوات الهائجة به يتغير صورته وبدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر و
يحمر ويهزل ويسمن ويلحقها ضروب التغاير للشاهدة بالحس فيجب لذلك ان يتعقد مبدا امراض نفوسنا فان كان مبدأها
من ذاتها كالفكر في الاشياء الردية واحالة الراي فيها او كاستشعار الحزن والخوف من الامور العارضة او المترقبة او
الشهوات الهائجة قصدنا علاجها بما يخصها وان كان مبداءها من المزاج او من الحواس كالحزن الذي مبدؤه
ضعف حرارة القلب مع الكسل والرفاهية وكالعشق الذي مبدؤه البطر مع الفراغ والبطالة قصدنا ايضاً علاجها
بما يخص هذه ولما كان طب الابدان ينقسم بالقسمة الاولى قسمين احدهما حفظ صحتها اذا كانت حاضرة والآخر
ردها اليها اذا كانت غائبة وجب ان يقسم طب النفوس هذه القسمة بعينها ونتقدم في حفظ صحتها اذا كانت
حاضرة فنقول اذا كانت النفس خيرة فاضلة تحب نيل الفضائل وتحرص على اصابتها وتشتاق الى العلوم الحقيقية
والمعارف الصحيحة فيجب على صاحبها ان يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله ولا يانس بغيرهم ولا يجالس سواهم
ويحذر كل الحذر من معاشرة اهل الشر والنقص من المجان والمجاهرين باصابة اللذات القبيحة وركوب الفواحش
والمفتخرين بها المنهمكين فيها ولا يصغي الى اخبارهم مستطيبا ولا يروي اشعارهم متحسنا ولا يحضر مجالسهم مبتهجا وذلك ان
حضور مجلس واحد من مجالسهم وسماع خبر واحد من اخبارهم ورواية بيت واحد من اشعارهم يعلق من وضره وسخه بالنفس
ما لا يغسل عنها الا بالزمان الطويل والعلاجات الصعبة وربما كان سبب الفساد الفاضل المحنك وغواية العالم
المستبصر حتى يصير فتنة لهما فضلا عن الحدث الناشئ والمتعلم المسترشد والعلة في ذلك ان محبة اللذات البدنية
والراحات الجسمية طبيعة للانسان لاجل النقصانات التي فيه فنحن بالجبلة الاولى والفطرة السابقة نميل
اليها ونحرص عليها وانما نزم انفسنا عنها بزمام العقل حتى نقف عند ما يرسم لنا ونقتصر على
المقدار الضروري منها وانما استثنيت في اول الكلام ما استثنيت وشرطت ما شرطت لان
...... معاشرة الاصدقاء الذين ذكرت احوالهم في المقالة المتقدمة وحكمت بتمام السعادة معهم
وبهم لا يتم الا بالمؤانسة والمداخلة ولا بد في ذلك من المزاح المستعذب والحديث المستطاف
والفكاهة المحبوبة واصابة اللذة التي يطلقها الشريعة ويقدرها العقل حتى لا يتجاوزها الى الاسراف فيها
ولا تقصر عنها تماوتا وذلك ان الخروج الى احد الطرفين ان كان الى جانب الزيادة سمي مجونا وفسقا وخلاعة

خلاعة وما اشبهها من اسماء الذم وان كان الى جانب النقصان سمى فدامة وعيّا وفكاهة وما اشبهها من اسماء
الذم ايضا والمتوسطة بينهما هو الظريف الذى يوصف بالمشاشة والطلاقة وحسن العشرة ويعرض من الصعوبة فى تحرّى
هذا الوسط ما عرض فى سائر الفضائل الخلقية وفيما يوجد به من يحفظ صحة نفسه ان يلتزم وظيفة من الجزء
النظرى والجزء العملى لا يسوغ له الاخلال بها البتة ليجرى للنفس مجرى الرياضة التى يلتزم فى حفظ البدن فانّ
الاطباء يعظمون امر الرياضة فى حفظ صحة البدن وذلك ان النفس متى تعطلت من النظر وعدمت الفكر والغوص
على المعانى تبلدت وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير واذا الفت الكسل وتبرمت الروية واختارت العطلة
قرب هلاكها لان فى عطلتها هذه انسلاخا من صورتها الخاصة بها ورجوعا منها الى رتبة البهائم وهذا هو
الانتكاس فى الخلق نعوذ بالله منه واذا تعوّد الحدث الناشئ من مبدأ كونه الارتياض بالامور الفكرية ولازم
التعاليم الاربعة الف الصدق واحتمل ثقل الروية والنظر وانس بالحق ونبا قلبه عن الباطل وسمعه عن الكذب فاذا بلغ
اشدّه انتقل الى مطالعة الحكمة استمر طبعه فيها واستمرت ما يستودع منها ولم يرد عليه امر غريب ولا يحتاج الى كثير تعب فى
فهم غوامضها واستخراج دفائنها ووصل الى سعادته التى ذكرناها سريعا وان كان حافظ هذه الصحة قد اتى
فى العلوم وبرع فلا يحملنّه العجب بما عنده من ترك الازدياد فان العلوم لا نهاية لها وفوق كل ذى علم عليم ولا يتكاسلنّ
فى معاودة ما علمه وتفقده على سبيل الدرس له فان النسيان آفة العلوم وليتذكر قول الحسن البصرى اقدعوا هذه
النفوس فانها طلعة وحادثوها فانها سريعة الدثور واعلم ان هذه الكلمات مع قلة حروفها كثيرة الغناء وهى مع ذلك فصيحة
قد استوفت شروط البلاغة وليعلم ايضا حافظ هذه الصحة على نفسه انه انما يحفظ عليها نعماء شريفة موهوبة
لها وكنوزا عظيمة مذخورة فيها وملابس فاخرة مفرغة عليها فمن كانت هذه المواهب الجليلة موجودة له
فى ذاته لا يحتاج الى تطلبها من خارج ولا بذل الاموال فيها العين ولا يتكلف العناء والمؤن الثقال فى تحصيلها
فاعرض عنها واهمل امرها حتى انسلخ منها وعرى منها الملوم فى فعله مغبون فى رائه غير رشيد ولا موفق ولا سيما و
هو يرى طالبى النعم الخارجة كيف يتجشمون الاسفار البعيدة الخطيرة ويقطعون السبل المخوفة الوعرة ويتعرضون
لضروب المكاره وانواع التلف من السباع العادية وطبقات الاشرار الباغية وهم يخيبون فى اكثر
الاحوال مع مقاساة هذه الاهوال وربما عرضت لهم الندامات المفظعة والحسرات المعطبة التى

يقطع انفاسهم ويفصل اعضاءهم فان ظفر بالشئ من مطالبهم كان لا محالة زائلا عن قريب ومعرضا للزوال وغير مطموع
في بقائه لانه من خارج وما كان خارجا عنا فهو غير ممتنع مما يلحق من الحوادث التي لا تحصى كثرة وصاحبه مع هذه الحال
شديد الوجل دائم الاشفاق متعوب الجسم والنفس بحفظ ما لا سبيل الى حفظه سبيلا وبالحذر على ما لا يغني فيه الحذر قليلا
وان كان طالب هذه الاشياء الخارجة عنا سلطانا او صاحب سلطان تضاعفت عليه هذه المكاره اضعافا كثيرة
بقدر ما يلابسه وبحسب ما يقاسيه من الاضداد والحساد على البعد ومن القرب وبكثرة ما يحتاج اليه من المؤن وفي استصلاح من
يليه ويلم من يطيف به ومداراة من يواليه ويعاديه وهو في كل ذلك ملوم ومستبطأ ومعيب مستقصر يستزيده جميع اهله والمتصلين
به ولا سبيل له الى ارضاء واحد منهم فضلا عن جميعهم ولا يزال يبلغه عن اخص الناس من اولاده وحرمه ومن يجري مجراهم
من حاشيته وخوله ما يملأ غيظا وحنقا فهو غير امن على نفسه من تحيفهم مع التحاسد الذي بينهم من مكاشفة الاعداء
اياهم ومناصاة الحساد لهم وجلب المكاره مالم يكن عنده فهو غني عند الناس وهو اشدهم فقرا وحاجة وهو اكثرهم مسألة
وكيف لا يكون فقيرا وحد الفقير هو كثرة الحاجة فاكثر الناس حاجة اشدهم فقرا كما ان اغنى الناس اقلهم حاجة
ولذلك حكمنا حكما صادقا ان الله تعالى جده اغنى الاغنياء لانه لا حاجة به الى شئ من الاشياء وحكمنا
ايضا ان اعظم الملوك منا اشد الناس فقرا لكثرة حاجته الى الاشياء ولقد صدق ابو بكر حيث قال في خطبته
اشقى الناس في الدنيا والاخرة الملوك ثم صغر فقال ان الملك اذا ملك زهده الله فيما في يده ورغبه فيما
في يد غيره وانتقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه
لذة البهاء لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسي والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا
وجبت نفسه ونضب عمره وضحا ظله حاسبه الله فاشد حسابه واقل عفوه الا ان الملوك هم المرحومون فهذه صفة
الملك اذا تمكن من ملكه لا يغادر منه شيئا ولقد سمعت اعظم من شاهدت من الملوك يستعيد هذا الكلام ثم
يستعيد الموعظة بما في قلبه وصدقه عن حاله وصورته ولعل من يرى ظاهر الملوك من الابهة والفرش والزينة والالات
ويشاهدهم في مواكبهم محفوفين محشودين بين ايديهم الجنائب والمراكب والعبيد والخدم والحجاب والحشم وزحمة خلقه
فيظن انهم مسرورون بما يراه لهم والذي خلفوه كانا امرهم افرغوا في هذه الاحوال ثم تعلو لهم ما يراه البعيد منهم مشغولين
بالافكار التي تغشاهم وتعتريهم بما حكيناه من خوفهم وقد جربنا ذلك في اليسير مما ملكناه فدلنا على

على الكثير مما وصفناه ولعل بعض من يصل الى الملك والسلطان يلتذ في مبدأ الامر مدة يسيرة جدا بقدر ما يتمكن منه
ويقع تحت يده ولكنه بعد ذلك يصير جميع ما ملكه كالشيء الطبيعي له لا يلتذه ولا يفكر فيه ويمد عينه الى ما لا يملكه فلو ملك
الدنيا بأسرها مع المستعصى عنها النقي او ترتهب همته الى البقاء الابدي والملك الحقيقي حتى تبرم بجميع ما حصل اليه
وبلغته قدرته وذلك ان حفظ الدنيا اصعب جدا لان طبيعتها من الاضمحلال والتلاشي ولما يضطر الملك
اليه من الامور التي وصفناها والاموال الجمة المصروفة الى الجند المرتزقين والخدم المتوفقين والكنوز المعدة للآفات
والاحداث التي لا يؤمن طروقها فهذه حال طلاب النعم الخارجة عنا فاما النعم التي هي في ذواتنا فانها موجودة
عندنا وفينا وغير مفارقة لنا لانها موهبة الخالق عز وجل فقد امرنا باستثمارها والترقي فيها فاذا امتثلنا امره
اثرت لنا نعما بعد نعم ورقتنا في درجة فوق درجة حتى يؤدينا الى النعيم الابدي الذي وصفناه فيما تقدم
وهو الملك الحقيقي الذي لا يزول والغبطة الابدية الصافية التي لا تحول فمن احسن ضعفه واظهر سقطه
من اضاع جواهر نفسه باقية هي عنده موجودة له وطلب اغراضا خسيسة فانية ليس عنده ولا موجودة
له فان اتفق ان يجدها لم يثق له ولم يترك عليه وذلك انها ينتقل عنه او ينتقل عنها لا محالة فلذلك
قلنا ينبغي لمن رزق الكفاية ووجد القصد من السعادة الخارجة ان لا يشتغل بفضول العيش فانها بلا نهاية
ومن طلبها اوقعته في مكاره لا نهاية لها وقد علمنا فيما تقدم ما الكفاية والقصد وان الغرض الصحيح
منها هو مداواة الآلام والتحرز من الوقوع فيها لا التنعم وطلب اللذة فان من عالج الجوع والعطش
الذين هما مرضان والمان حادثان لا ينبغي له ان يقصد لذة البدن بل صحته فانه يلتذ لا محالة فان
طلب بالعلاج اللذة لا الصحة لم يحصل له الصحة فاما من لم يرزق الكفاية ويحتاج الى السعي والاضطرار
في تحصيلها فيجب عليه ان لا يتجاوز القصد وقدر حاجته منها الى ما يضطره الى السعي الخبيث والحرص
الشديد والتعرض لمعالج المكاسب التي تعرضه للمهالك والمعاطب بل يجمل في طلبها اجمال العارف بخساستها فانه
يضطر اليها اضطرارا فيطلب منها ما يطلب سائر الحيوان ضرورة لانها فان العاقل اذا تصفح احوالها وجد منها ما يأكل
الميتة ومنها ما يأكل الروث والخشب وهي مسرورة بما تجده من اقواتها قريرة العين بها وليس تحس من نفسها
تقصيرا ولا تقززا ولا تنغص عيشها بشيء منها كما تتعذر في نفوس الحيوانات الشرهة بل انما يتفرع عن اقوات تلك الاخرى التي

يضادها من النظافة ومثال ذلك الجعل والخنافس اذا قيست الى النحل فان تلك تهرب من الروائح الطيبة والاقوات
اللطيفة وهذه تطلبها وتشربها فاذن نسبة كل حيوان الى قوته الخاص به كنسبة الحيوان الآخر الى قوته الخاص وكل متمتع
بما يحفظ بقاءه وحينئذ طالب الصحة النفسية ينبغي ان ينظر الى اقواتها بهذه العين وينزلها منزلة الطبيب الذي يضطر الى ملابستها
لاخراج ما كان يحرص على الوصول اليه فلا يتعداها من الآخر لانهما ضروريان لنا نحن لا لانهما لاجل المشتهية ولا يشغل
عقولنا باختيارهما والتمتع بهما وافناء اعمارنا في التانق فيهما والتوصل اليهما ولا نتكاسل ايضا عن اعداد ضروراتنا منهما
وانما يفضل احدهما على الآخر ويستحسن السعي في طلب المدخل ولا يستحسن السعي في طلب المخرج لان الاول منهما هو غذاء وقوت
لنا يخلف علينا ما تحلل من ابداننا وكما لا نستوحش ولا ننفر من ابداننا ولا نستقذرها كذلك لا ننفر مما يصنعه مكانه
ما ينقص منه وينوب عنه واما الثاني منهما فعصارة ذلك الغذاء وما نفته الطبيعة واجتذب حاجتها منه اعني الذي
احالته وما صفاه ورققه في العروق على الاعضاء واطرحت الثقل الذي لا حاجة بها اليه وهي في غاية المخالفة والبعد من
امزجتنا فنحن نستوحش منه وننفر عنه لاجل الضدية والمخالفة الا انا مضطرون الى اخراجه وتنحيته وتنضيره عنا
بالآلات الموهوبة لنا المستعملة في ذلك لنفرغ مكانه لما يأتي بعده ويجري مجراه وينبغي لحافظ الصحة على نفسه ان لا يهيج
قوته الشهوية ولا قوته الغضبية بتذكر ما اصاب منهما فوجد لذة بهما بل يتركهما حتى يتحركا لانفسهما واعني بهذا
ان الانسان ربما يذكر لذاته من اصابة الشهوات ومراتبه من كرامة السلطان وعزها فاشتاق اليها واذا اشتاق
اليها يحرك نحوها واذا تحرك نحوها فقد جعلها غرضا له فيضطر الى استعمال الروية واستخدام النفس الناطقة فيه
ليدبر له الوصول اليه وهذه صورة من يهيج بأثر عاديه ويهيج سباعا ضارية ثم يلتمس مع تهيجها الخلاص منها وليس
يختار العاقل لنفسه هذه الحال بل هو من افعال الجاهلين الذين لا يميزون بين الخير والشر ولا بين الصواب والخطأ فلا جرم
يجب ان لا نتذكر اعمال هاتين القوتين لئلا نشتاق اليهما فنحركهما نحوها بل نتركهما فانهما ستتحركان لانفسهما ويهيجان عند
حاجتهما ويلتمسان ما يحتاج البدن اليه ونجد من باعث الطبيعة ما يغنيك عن بعثهما بالفكر والتمييز ويكون حينئذ فكرك
وتمييزك في ازاحة علتهما وتقدير ما يطلقه لهما في الامر الضروري الواجب لا بد منه الحافظ للصحة وهذا هو مضاد لشبيه
وانما تشبيها لانه تعالى وتقدس انما وهب هاتين القوتين لنا لنستعين بهما عند حاجتنا اليهما لا لنخدمها وتستعبد لها الفكر
من استخدام العقل الناطقة في خدمة عبيدها فتعد لما امر الله ولتعكس حدوده وعكس تشبيها وتقديره ولا تعدل [illegible]

اشرف وافضل من شيء وتدبيره فكل من خالفه وعدل عنه فهو اعظم جاهل بحاله واعظم ظالم لنفسه وينبغي ان يحافظ
الصحة على نفسه ان يطلق نظره في كل ما يفعل ويدبر ويستعمل فيه الالات ببدنه ونفسه لئلا يجري فيها على عادة تقدمت
له مخالفة لما يوجبه تمييزه ورويته فما اكثر ما يعرض للانسان ان يبدأ منه فعل مخالف لما قدم فيه عزيمته وعقد عليه رأيه
عرض له مثل هذا فيجب عليه ان يضع لنفسه عقوبات يقابل بها امثال هذه الذنوب فاذا انكر من نفسه مبادرة الى
طعام ضار او ترك حمية قد كان استشعرها او تناول فاكهة غير موافقة او حلو كذلك عاقب نفسه بصوم لا يفطر فيه
الا على الطفيف مما يقدر عليه ويعلمه وان امكنه الطي فليطو ويزيد في الحمية من غير حاجة اليها ويمكن في توبيخه لنفسه
ان يقول لها انك قصدت تناول النافع فتناولت الضار وهذا فعل من لا عقل له ولعل كثيرا من البهائم احسن حالا
منك لانه ليس فيها ما يقصد لذة لها ثم يتناول ما يؤلمها فاستحقي الان للعقوبة وان انكر من نفسه مبادرة
الى الغضب في غير موضعه او على من لا يستحقه او زيادة على ما يجب منه فليقابل ذلك بالتعرض لسفيه يعرفه بالبذاء
ثم ليحتمله او ليتذلل لمن يعرفه بالخيرية ممن كان لا يتواضع له قبل ذلك او ليفرض على نفسه مالا يخرجه صدقة
ويجعل ذلك نذرا عليه لا يخل به وان انكر من نفسه كسلا او توانيا في مصلحة له فليعاقب نفسه بسعي فيه مشقة او صلاة
فيها طول او ببعض الاعمال الصالحة التي فيها كد وتعب وبالجملة فليرسم على نفسه رسوما يصيرها عليها فرائض وحدودا لا
تخل بها ولا تترخص فيها واذا انكر في نفسه مخالفة لعقله وتجاوز المرسوم ليحذر في جميع اوقاته ملابسة رذيلة او سماع
رفيق او مخالفة صواب لا يستحقرن شيئا البتة من صغائر السيئات ولا يطلبن رخصة فيها فان ذلك يدعو الى
ما هو اعظم منها ومن تعود في مبدأ نشوه وحداثة شبابه ضبط النفس عن شهواته والحلم عند ثوران غضبه وحفظ لسانه
وتم الى ان يخف عليه ما يثقل على غيره ممن لا يتادب بهذه الاداب بيان ذلك انا نجد العبيد واشباههم اذا بلوا بمن
يستهزئ عليهم ويشتمون اعراضهم هان عليهم الخطب فيما يشتمونه حتى لا يؤثر فيهم وربما ضحكوا عند سماع مكروه شديد
ضحكا غير متكلف ويميلون عند ذلك اعطافهم وادعين طلقين غير قلقين وقد كانوا قبل ذلك شرسين غضوبين غير
محتملين ولا ممسكين عن الاجوبة ولا الانتقام بالكلام وطلب التشفي بالخصام وهذه سبيلنا اذا الفنا الفضائل و
تجنبنا الرذائل وامسكنا عن مقابلة السفهاء ومجازاتهم والانتقام منهم ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يتشبه
بالملوك الموصوفين بالحزم فانهم يستعدون للاعداء بالعدة والعتاد والحصون قبل هجوم العدو عليهم في حالة من زمانهم

وفي اتباع من نظر منهم ولو اغفلوا اهملت الى ان تحريهم المكان وتطيعهم الشدايد لا جل الامر والحيلة عن الرعية الشديد

فعلى هذا الاصل يجب ان يبنى الامر في الاستعداد لاحداثنا من النشوة والغضب بما ذكرنا من الحيلة التي يراد للتجربة

الصبر عليه والحلم عمن ينبغي ان يحلم عنه ويضبط النفس عن الشهوات الردية ولا تنطوي على هذه الرذايل حتى يصلح لها كل

عند ذلك صعب جدا ولعله غير ممكن البتة ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يتطلب عيوب نفسه تطلبا شديدا ولا يقنع

بما قاله جالينوس في ذلك في ذكره في كتابه المعروف بتعرف المرء عيوب نفسه انه لما كان كل انسان يحب نفسه عميت عليه

مساويه ولم يرها وان كانت ظاهرة واشار في كتابه هذا بان يختار من يحب ان يبرئ من العيوب صديقا كاملا فاضلا

يخبره بعد طول المؤانسة انه انما يعرف صدق صديقه اذا صدقه عن عيوبه حتى يجتنبها ويأخذ عهده على ذلك ولا يحتشمه اذا قال

له لا اعرف لك عيبا بل يعتب عليه وينكره ما يقول له ويعلمه انه قد اتهمه بالخيانة ويعاود مسئلته ولا يحلم عليه فان لم يخبره

بشيء من عيوبه فليظهر له عيوبا رقيقة وعيبا صغيرا ليزيد في الرغبة اليه فان من اخبره بشيء من عيوبه زاد قليلا فاذا اخبره ببعض ما يعثر عليه

منه فلا يظهر له في وجهه او كلامه كراهية ولا انقباض بل يبسط له وجهه ويظهر السرور بما اخرجه اليه وينبه عليه ليشكره على

الانام في اوقات المؤانسة يتطرق له الى هذا سبيلا اليه ثم ليعالج ذلك العيب بما يزيل اثره ويحفظه ليعلم ذلك المهدي اليه عيوبه

انك من وراء صلاح نفسك وفي طريق علاج مرضك فلا تنقبض عن معاونتك ونصيحتك وهذا الذي اشار به

جالينوس معول غير مرجو ولا مطموع فيه ولعل العدو في هذا الموضع انفع من الصديق فان العدو لا يحتشم في اظهار عيوبنا

بل يتجاوز بما يعرف منها الى التخرص والتكذيب فيها فنتنبه على كثير عيوبنا من جهتهم ولجالينوس ايضا مقالة يخبر فيها ان

اخيار الناس ينتفعون باعدائهم وهذا صحيح لا يخالف فيه احد وذلك لما ذكرناه فاما ما اختاره ابو يوسف يعقوب

بن اسحق في ذلك فهو ما احكيه بالفاظه وهو هذا قال ينبغي لطالب الفضيلة ان يتخذ صور جميع معارفه من الناس مراى

له تريه صورة كل واحد منهم عند ما يعرض من الالام التي تثمر السيئات حتى لا يغيب عنه شيء من السيئات التي له وذلك انه يكون

متفقدا لسيئات الناس فاذا رأى سيئة عاد بها من احد ذم نفسه عليها كانه هو فعلها ولكن عتبه على نفسه ويتصفح على نفسه في

كل يوم وليلة جميع افعاله حتى لا يشذ عنه منها شيء ثم قال ينبغي لنا ان نجتهد في حفظ ما اقتصصناه من الطهارة الذهنية والارادة الفاضلة

الغريبة منا التي لا ينبغي البتة في كل يوم لا نحفظ ما نفضي من نزواتنا التي تتغير بها افكارنا ونقصانها

فنازنا فاذا اوقفنا على سيئة من افعالنا اشتد عذلنا لانفسنا عليها ثم نقوم عليها بما تقتضيه ولا نحسب لنا التعمد لها

افعال خيرة و وجدنا فيها سيئة جانبناها ايضا وقومنا عليها فان النفس متى حينئذ عن المساوي حتى تالف المساوي
سبيلها الى الاشتياق لا يالى عليها زمان طويل فيعسر ذكرها فلذلك ينبغي ان نعمل في الحسنات لنتدرج اليها ولا
يفوتنا شي منها قال وقد ينبغي ان لا يقنع ان نصير اشباه الدفاتر الكتب التي يفيد غيرها معاني الحكمة وهي عادمة
لاقتنائها او كالمسان التي يشحذ ولا يقطع بل يكون كالشمس المفيدة القمر كلما اشرقت عليه انارة من فيض نورها
فيفعل التمام حتى لها شبها وان نصير عن نورها فكذا ينبغي ان يكون حالتنا اذا فدنا غيرنا الفضائل هذا الذي
ذكره الكندي في ذلك ابلغ مما قاله من تقدمه القول في رد الصحة على النفس ان لم يكن حاضرة وهو القول
في علاج امراضها فنبتدي بذكر اجناس هذه الامراض الغالبة ثم بمداواة العظمى لاعظم منها الكآبة والاكبر فالاكبر
منها جنابة فنقول ان اجناسها العالية هي مقابلات الفضائل الاربع التي احصيناها في مبدا الكتاب ولما كانت
الفضائل اوساطا محدودة واطرافا موجودة امكن ان نطلب بقصد ونتنهى اليها بالكد والسعي والاجتهاد واما
النقط التي ليست باوساطها فانها غير محدودة ولا لها اعيان موجودة ووجودها بالعرض لا بالذات ومثال
ذلك ان الدائرة لها مركز واحد هي نقطة واحدة لها وجود في ذاتها بقصد ويشار اليها وان لم نجد ماحسا
ولم يمكنا الاشارة امكننا استخراجها واقامة البرهان عليها وانها هي المركز دون غيرها من النقط واما التي ليست
بمركز فهي بلا نهاية ولا وجود لها بالذات وانما يوجد اذا فرضت فرضا وليست لها عين ثابتة فلذلك لا تقصد
ولا يمكن استخراجها لانها مجهولة ولانها شايعة في جميع بسيط الدائرة فاما الطرفان اللذان يسميان متضادين
فهما موجودان معينان لانهما طرفا خط مستقيم معين والبعد بينهما غاية البعد ومثال ذلك انا اذا اخرجنا
من مركز الدائرة خطا مستقيما الى المحيط صار طرفاه محدودين احدهما المركز والاخر نهايته والبعد بينهما غاية
البعد ومثاله من المحسوس البياض والسواد فان احدهما مضاد للاخر وهما محدودان والبعد بينهما غاية البعد فاما
الاوساط التي بينهما فهي بلا نهاية وكذلك الالوان هي بلا نهاية واما اطراف الفضيلة فلما كانت اكثر من واحد
لم يسم ضدا لان الكل نسبة ضدا واحدا ولا يمكن ان يوجد اضداد كثيرة لضد واحد والسبب في ذلك
ان البعد بينهما غاية البعد وقد يجد الفضيلة الواحدة اكثر من طرف واحد وذلك انا اذا تصورنا الفضيلة مركزا
واخرجنا منه خطا مستقيما الفضيلة الى نهاية امكننا ان نخرج من جانب المقابل له خطا اخر على استقامة

له نهاية اخرى ويصيران جميعا متقابلين للمركز الذي فرضناه فضيلة الا ان احدهما يجري مجرى الافراط والغلو
والاخرى يجري مجرى التفريط والتقصير واذ قد عرفت ذلك فليعلم ان لكل فضيلة طرفين محدودين يمكن الاشارة اليهما
واوساطا بينهما كثيرة لا نهاية لها ولا يمكن الاشارة اليها الا ان الوسط الحقيقي هو واحد هو الذي سميناه فضيلة
ثم ليعلم انا بحسب هذا البيان نجعل الرذائل ثمانية لانها ضعف الفضائل الاربع التي تقدم شرحها وهي عدة التهور
والجبن طرفان للوسط الذي هو الشجاعة والشره والخمود طرفان للوسط الذي هو العفة والبله والدهاء طرفان للوسط
الذي هو الحكمة والجور والمهانة اعني الظلم والانظلام طرفان للوسط الذي هو العدالة وهذه اجناس الامراض
العالية التي تقابل الفضائل التي هي صحة النفس وتحت هذه الاجناس انواع لا نهاية لها ونبتدئ بذكر التهور والجبن
اللذين هما طرفا الشجاعة وهي فضيلة النفس وصحتها فنقول ان سببهما ومبدأهما النفس الغضبية ولذلك صارت
البلية باسرها من علائق الغضب والغضب بالحقيقة هو حركة النفس يحدث بها غليان دم القلب شهوة الانتقام
فاذا كانت هذه الحركة عنيفة اججت نار الغضب واضرمتها واحتد غليان دم القلب وامتلأت الشرايين والدماغ
دخانا مظلما مضطربا تسوء منه حال العقل ويضعف فعله ويصير مثل الانسان عند ذلك على ما حكته الحكماء
مثل كهف ملئ حريقا واضرم نارا فاختنق فيه اللهب والدخان وعلا منه الاجيج والصوت المسمى وحي النار فيصعب علاجه
ويتعذر اطفاؤه ويصير كلما ادنيته منه للاطفاء سببا لزيادته ومادة لقوته فلذلك يعمى عن الرشد ويصم عن الموعظة
بل يصير المواعظ كلها في تلك الحال سببا للزيادة في الغضب ومادة للالتهاب والتاجج وليس يرجى له في تلك الحال
حيلة وانما يتفاوت الناس في ذلك بحسب المزاج فمن كان للمزاج حارا يابسا كان قريب الحال من الكبريت الذي
اذا ادنيت منها الشرارة الضعيفة التهب وان كان بالضد صارت حالة بالضد وهذا في مبدأ امره وعنفوان
حركة الغضب فاما اذا احتدم فيكاد الحال يتقارب فيه وتصور ذلك من الحطب اليابس والرطب وتمثل مبدأ
اشتعال النار بسرعة وشدة من الكبريت والنفط ثم لتحدر منها الى الادهان المتوسطة الى ان ينتهي الى الاحتكاك
فان الاحتكاك وان كان ضعيفا في توكيد النار فربما قوي حتى يلتهب منه الاجسام العظيمة والغيضة الاشجار الملتفة وكذلك
مثال السحاب الذي من البخارين كيف يحتك حتى ينقدح بينهما النيران وينزل منهما الصواعق التي لا تثبت لنارها شيء من
المهج ولا يفارق ما يتعلق به حتى يصيره رمادا وان كان جبلا املس وحجرا اصم واما سقراط فيقول انا للسفينة اذا

اذا عصفت بها الرياح وتلاطمت عليها الامواج وقذفت بها الى اللجج التي فيها الجبال ارجى من الغضبان الملتهب

وذلك ان السفينة في تلك الحال تلطف لها الملاحون ويخلصونها بضرب من الحيل فاما النفس اذا استشاطت غضبا

فليس يحتال لها بحيلة البتة وذلك ان كل ما رمى به الغضب من النصح والموعظة والخضوع يصير له بمنزلة الجزل من الحطب

يهيجه ويزيده اسعارا فاما اسبابه المؤكدة فهي العجب والافتخار والمراء واللجاج والمزاح والتيه والاستهزاء والغدر والضيم

وطلب الامور التي فيها عزة ويتنافس الناس فيها ويتحاسدون عليها وشهوة الانتقام غاية لها لانها باجمعها ينتهي اليه ومن

لواحقه الندامة وتوقع المجازاة بالعقاب عاجلا واجلا وتغير المزاج وتعجيل الالم وذلك ان الغضب جنون ساعة وربما

ادى الى التلف باختناق حرارة القلب فيه وربما كان سببا لامراض صعبة مؤدية الى التلف ثم مقت الاصدقاء

وشماتة الاعداء واستهزاء الحساد والارذل ولكل واحد من هذه الاسباب علاج يبدأ به حتى يقطع من اصله فاما اذا انقدنا

بحسم هذه الاسباب او ما طلبنا فقدا وهبنا قوة الغضب وقطعنا مادته وامنا غايلته فان عرض لنا منه عارض

كان بحيث يطيع العقل ويلتزم شرائطه وحدثت فضيلة اعني الشجاعة فيكون حينئذ اقدامنا على ما نقدم عليه كما

يجب وبحيث يجب وبالمقدار الذي يجب وعلى من يجب اما العجب فحقيقته اذا حققناه انه ظن كاذب بالنفس في استحقاق

مرتبة هي غير مستحقة لها وحقيق على من عرف نفسه ان يعرف كثرة العيوب والنقصانات التي يعتورها وان الفضل

مقسوم بين البشر وليس يكمل الواحد منهم الا بغيره بل غيره وكل من كانت فضيلته عند غيره فواجب عليه ان لا يعجب بنفسه

وكذلك الافتخار فان الفخر هو المباهاة بالاشياء الخارجة عنا ومن باهى بما هو خارج عنه فقد باهى بما لا يملكه و

كيف يملك ما هو معرض للافات والزوال في كل ساعة وكل لحظة ولسنا على ثقة منه في شيء من الاوقات

واصح الامثال واصدقها فيه ما قال الله عز وجل حيث قال واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب

الى قوله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ثم قال تعالى واضرب لهم مثل

الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل

شيء مقتدرا وفي القران من هذه الامثال شيء كثير وكذلك في الاخبار المروية عن النبي صلى الله عليه واله وسلم

واما الفخر بنسبه كثيرا ما يدعيه اذا كان صادقا ان اباه كان فاضلا فلو حضر ذلك الفاضل وقال ان الفضل الذي تدعيه

انا استبد به دونك فما الذي عندك منه مما ليس عند غيرك لافحم واسكته وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه واله

في هذا المعنى اخبار صحيحة منها انه قال عليه السلام لا تاتوني بانسابكم واتوني باعمالكم ويحكى عن بعض الحكماء كان بعض
الفلاسفة انه افتخر عليه بعض رؤساء زمانه فقال له ان افتخرت على بفرسك فالحسن والفراهة له لا لك وان افتخرت
بثيابك وآلاتك فالحسن لها دونك وان افتخرت بآبائك فالفضل كان فيهم دونك فاذا كانت المحاسن والفضائل خارجة
عنك وانت منسلخ منها وقد رددناها على اصحابها بل لم تخرج عنهم فترد عليهم فانت من ويحكى عن بعض الفلاسفة
انه دخل على بعض اهل اليسار والثروة وكان يعتد في الزينة ويفتخر بكثرة ماله وآلاته فحضرت الفيلسوف بزقة فتنحنح لها
والتفت في البيت يمينا وشمالا ثم بزق في وجه صاحب البيت فلما عوتب على ذلك قال اني نظرت الى البيت
وجميع ما فيه فلم اجد هنا اقبح منه فبزقت وهكذا يستحق من كان يفتخر بما ليس في نفسه بل بالخارجات عنه واما المراء
واللجاج فقد ذكرنا قبح صورتهما في المقالة التي قبل هذه وما يؤديان اليه من الشتات والفرقة والتباغض بين الاخوان واما
المزاح فان المقدار المعتدل منه محمود وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وكان امير المؤمنين
عليه السلام كثير المزاح حتى عابه بعض الناس به فقال لولا دعابة فيه ولكن الوقوف على المقدار المعتدل منه صعب واكثر الناس
يبتدي به ولا يدري اين يقف منه فيخرج عن حده ويروم الزيادة فيه على صاحبه حتى يصير سببا للوحشة فيثير غضبا كامنا
ويزرع حقدا باقيا فلذلك عددناه في الاسباب فينبغي ان يحذره من لا يعرف حده ويذكر قول القائل رب جد جره اللعب وقول الآخر
اول المزاح ثم تهيج فتنة لا يهتدى بعلاجها واما التيه فهو قريب من العجب والفرق بينهما ان المعجب بنفسه يكذب نفسه فيما يظن بها
والتياه يبنيه على غيره ولا يكذب نفسه الا ان علاجه علاج المعجب بنفسه وذلك بان يعرفوا ان ما يأتيه به لا مقدار له عند العقلاء
ولهم انما لا يعتدون به لخسة قدره ونزارة حظه من السعادة ولانه متغير زائل غير موثوق ببقائه واما الاستهزاء فانما
يستعمله المجان من الناس والمساخرة ومن لا يبالي بما يقابل به لانه قد يهيئ في نفسه احتمال مثل ذلك واضعافه ويرضى بما
قرير العين بضروب الاستخفافات التي تلحقه وانما يتعيش بالدخول تحت المذلة والصغار بل انما يتعرض بقليل ما يبتذل به
الكثير مما يعاملون به ليحصل خيرا وينال اليسير من برهم والحر الفاضل بعيد من هذا المقام يكرم نفسه ويرفعها عن تعريضها للسفهاء ولا يبيعها
بجميع خزائن الملوك فضلا عن الحقير التافه واما الغدر فوجوهه كثيرة اعني انه قد يستعمل في المال وفي الجاه وفي الحرم وفي المودة وهو على
كثرة وجوهه مذموم بكل لسان معيب عند كل احد يبغضه السامع من ذكره ولا يعترف به انسان وان قل حظه من الانسانية
وليس يوجد الا في جنس من اجناس العبيد وفي طغام الناس وفي اخستهم سائر اجناس العبيد وذلك لان [illegible]

من جهة خسيس الرتبة كالزنج والحبشة والنوبة وقد شاهدنا ناساً من ذلك كثير من الصبيان لم يتأملوا فاكثر من الغضب على الاحرار
ومن هو يتبجح الصغر باسمه ويعني العقلاء منه لو عرف معناه فليس يستعمله خاصة من له طبيعة جيدة او قوة ما تقدم
في هذا الكتاب وتخلق به وانتهى في قراءته الى هذا الموضع فاما الضيم فهو تكليف احتمال الظلم والغضب مما يعرض انفة
منه وشهوة للانتقام وقد ذكرنا فيما تقدم حال الظلم والانظلام وشرحنا الحال فيهما فينبغي ان لا نتسرع الى الانتقام
ممن ضيمنا حتى ننظر فيه ونتحقق ان لا يعود علينا الانتقام بضرر اعظم من احتمال ذلك الضيم وهذا النظر اذا
هو استشارة العقل حتى يحكم بعينه فاما المطالب الامور التي فيها عزة ويتنافس فيها الناس فهو خطأ من الملوك والعظماء
فضلا عن اوساط الناس وذلك ان الملك اذا حصل في خزائنه علق كريم ونفيس فهو متعرض به للجزع عليه عند
فقده ولا بد من حلول الآفات به لما عليه طبيعة العالم اعني عالم الكون والفساد من تغير الامور واحالتها
وادخال الفساد على كل ما يدخر ويقتنى فاذا فقد الملك ذخيرة عزيزة الوجود ظهر عليه ما يفجعه وعظم الفجيعة المصاب بما يعز عليه
ويبين فقده الى نظيره الذي لا يجده فيطلع الصديق والعدو على حزنه وكآبته وقد حكي عن بعض الملوك انه اهدي اليه قبة
بلور صافية عجيبة الشكل محكمة الخرط قد استخرج منها اساطين ونقش ظاهرها باشياء نادرة بعد الخرط والتحصيل لنقوش و
المخروطات والتصاوير التي بين الصور والاوراق فلما حصلت بين يديه كثر تعجبه منها واعجابه بها وامر بها فرفعت في خاص خزانته فلم
يلبث عليها كثير زمان حتى اصابها ما يصيب امثالها من المتالف وبلغ ذلك الملك فظهر من الاسف والجزع ما منعه من التصرف
في امره والنظر في مملكته والجلوس بمجلسه وحاشيته واجتهد الناس في وجود شيء شبيه به فتعذر عليهم فظهر ايضا من عجزه
واستنباط مطلوبه عليه ما فضحه عند جزعه وحزنه فاما اوساط الناس فانه متى دخل الآلة كريمة وجوهرا نفيسا او اتخذوا
مركوبا فارها وما اشبه هذه الاشياء التمسها منه من لا يمكنه رده عنها فان ضن عنها او بخل عليه بها فقد عرض نعمته
للبلاء ولزمته بها الملفة من الجزع والغم ما كان مستغنيا عنه فاما الاحجار النفيسة مثل اليواقيت واشباهها مما يتعذر
عنه الآفات في انفسها فليس تتعذر عنها الآفات الخارجة منها من السرقة وجحد الحيل فيها واذا ادخرها الملك قل انتفاعه بها
عند حاجته اليها وربما عدم الانتفاع بها جملة وذلك ان الملك اذا اضطر اليها لم ينفعه في عاجل امره وربما ضيع حرمته وقد
شاهدنا اعظم الملوك يحتاج في عصرنا لما احتاج اليها بعد فناء امواله ونفاد ما في خزائنه وقلاعه لم يجد لها الا قريبا من ثمنها
الذي حصل منها الا الاشياء النفيسة في حاجته الى ... في بعض قيمتها ولا يقدر على تحصيل الا الكثير من اثمانها وهي مبذولة

مبتذلة فى ايدى الملاحين والتجار والسوقة يتهيبون لبسها ولا يقدرون عليها من عقد منهم على شئ شقى منهم لم يتابع فى جمعها
من تتبعه بعد ذلك وظهور امره فيعثر عليه منهم فمثال هذه الذخائر عند الملوك خاصة التجار الى سوء ولينهم التجار فيها
اتعوبهم بسان صالح يكون من الذهب وامن من السرب وحينئذ يكون بضاعتهم شبيه بالكاسدة لانها لا تنفق الا عند الملوك
الواجدين الذين لا يعجزهم شئ من نوائب الدهر وقد استمر بهم الخفض وغفلت عن الحوادث والقلاع فيستغنون
بالزمان فيضعون فى مثل هذه الخدائع ثم يؤول عاقبتهم الى ما حذرنا منه فهذه اسباب الغضب والامراض الحادثة
منها وقد ذكرنا علاجاتها وحذرنا من اسبابها والوقوع فيها ومن عرف الحد الذى تخلق بها كما كتبناه فيما تقدم سهل
عليه علاج هذا المرض لانه خروج عن الاعتدال ولذلك لا ينبغى ان نسميه باسماء المدح واعنى بذلك
ان قوما يسمون هذا النوع من الجهل اعنى الغضب فى غير موضعه رجولية وشدة شكيمة ويذهبون به مذهب الشجاعة
التى هى بالحقيقة اسم مدح وشتان ما بين المذهبين فان صاحب هذا الخلق الذى ذممناه يصدر عنه افعال ردية
كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على اخوانه ثم على الاقرب فالاقرب من معامليه حتى ينتهى الى عبيده وحرمه فيكون عليهم سوط
عذاب لا يقيلهم عثرة ولا يرحم لهم عبرة وان كانوا براء من الذنوب غير مجرمين ولا مكتسبين سوءا بل يتجرم عليهم
ويهيج من ادنى سبب يجد به طريقا اليهم حتى يبسط لسانه ويده عليهم وهم لا يمتنعون منه ولا يتجاسرون على رده عن انفسهم
بل يذعنون له ويقرون بذنوب لم يقترفوا استكفافا لشره وتسكينا لغضبه وهو مع ذلك مستمر على طريقته لا يكف
يدا ولا لسانا وربما تجاوز فى هذه المعاملة الناس الى البهائم التى لا تعقل والى الاوانى التى لا تحس فان صاحب هذا
الخلق الردى ربما قام الى الحمار والبرذون والى الحمام والعصفور فيتناولها بالضرب والمكروه وربما عض القفل
اذا تعسر عليه وكسر الآنية التى لا يجد فيها طاعة لامره وهذا النوع من رداءة الخلق مشهور فى كثير من الجهال
يستعملونه فى الثوب والزجاج والحديد وسائر الآلات واما الملوك من هذه الطائفة فانهم يغضبون على الريح والبحر
اذا هبت على خلاف هواهم وعلى القلم اذا لم يجر على رضاهم فيسكرونه ذلك ويكسرونه هذا وكان بعض من تقدم عهده من
الملوك يغضب على البحر اذا تاخرت فيه سفينة لاضطراب حركة امواجه حتى يهدده بطرح الجبال فيه وطمه بها وكان بعض
السفهاء فى عصرنا يغضب على القمر ويهجوه بشعر مشهور وذلك انه كان يتاذى به اذا نام فيه وهذه الافعال كلها يستحيى
بعضها مع قبحه مضحكة يهزأ بصاحبها فكيف يعد مع الرجولية والشدة وشرف النفس وعزتها وهى بالمذمة والفضيحة اليق

اولی منها بالمديح واسرع حنقا لسانی العزم والشدة ونحن نجدها فی النساء اکثر منها فی الرجال وفی المرضی والضعفاء اوسع
منها فی الاصحاء والاشداء ونجد الصبيان اسرع غضبا من الرجال والشيوخ اكثر ضجرا من الشبان ونجد رذيلة الغضب
مع رذيلة الشره فان الشره اذا تعذر عليه ما يشتهيه غضب وضجر على من يهيئ طعامه وشرابه من نسائه وخدمه وسائر
من يلابس امره والبخيل اذا فقد شيئا من ماله يسرع بالغضب على اصدقائه وخادميه وتوجهت تهمته الى اهل الثقة من
عنده ممن يواليه وهؤلاء الطبقة لا يحصلون من اخلاقهم الا على فقد الصديق وعدم النصح وعلى الندم السريع واللوم
الوجيع وهذه خلال لا يبقى معها غبطة ولا سرور وصاحبها ابدا حزين كئيب منغص العيشة متبرم بما هو فيه وهي حال الشقي
المرجوم فاما الشجاع العزيز النفس فهو الذي يقهر بحلمه غضبه ويتمكن من التمييز والنظر فيما يكره ولا يستفزه ما يرد عليه من الحركات
لغضبه حتى يرى وينظر كيف ينتقم وممن وعلى اي قدر او كيف يصفح ويغضي ويعفو وفي اي ذنب وقد حكي عن الاسكندر الملك انه
رقی اليه عن بعض اصحابه انه يعيبه وينتقصه وقال له بعض نصحائه لو ادبته ايها الملك بعقوبة تنهكه فقال له كيف
يكون انهاكي اياه بعقوبة تبقى له في قلبي وطلب معايبي لانه حينئذ ابسط لسانا واعذر عند الناس ورمى يوما ببعض اعدائه
من المتغلبين الخارجين عليه وكانت تقرعات في المراة عبثا كثيرا فصفح عنه فقال له بعض جلسائه لو كنت انا انت
لقتلته فقال الاسكندر فاذ لست انا انت فلست قاتله وقد ذكرنا معظم اسباب الغضب ودللنا على معالجتها وحسمها
وهو النوع الاعظم من امراض النفس واذا تقدم الانسان في حسم سببه لم تحس بلذته منه وكان ما يعرض منه سهل العلاج
قريب الزوال لا سيما اذا تلبسه ما يسدده ولا يسبب بشيعته ويوقده ويجد روية موضعا لاجالة النظر والفكر في فضيلة الحلم
واستعمال المكافأة ان كان صوابا او التغافل ان كان حزما والذي يتلو معالجة هذا النوع من امراض النفس معالجة
الجبن الذي هو الطرف الاخر من ضدها ولما كانت الاضداد تعرف بعضها من بعض كما قد عرفنا الطرف الذي حد
بحركة للنفس عنيفة قوية يحدث منها غليان دم القلب شهوة الانتقام فقد عرفنا اذن مقابله اعني الطرف الاخر الذي هو
سكون للنفس عند ما يجب ان يتحرك فيه وبطلان شهوة الانتقام وهذا هو سبب الجبن والخور ويتبعه مهانة النفس وسوء
العيش وطمع الانذال وغيرهم من الاهل والولد وسائر المعاملين وقلة الثبات والصبر في المواطن التي يجب فيها الثبات
ومن ايضا اسباب الكسل وحب الراحة اللذين هما سببا كل رذيلة ومن لواحقه الاستخذاء لكل احد والرضا بكل رذالة وضيم
والدخول تحت كل فضيحة في النفس والولد والاهل وسماع كل قبيحة وفاحشة من الشتم والقذف واحتمال كل ظلم من

كل ما له وقلة الانفة مما يانف منه الناس من الامور وعلاج هذه الاسباب بالملوحي تكون باضدادها وذلك
بان يوقظ النفس التي تعرض هذا المرض بالهز والتحريك فان الانسان لا يخلو من القوة الغضبية راسا حتى يجلب اليه من مكان
اخر ولكنها تكون ناقصة عن الواجب فهي بمنزلة النار الخامدة التي فيها بقية لقبول الريح ومتى نفخ فيها تحركت لا محالة اذا كثرت بما
يلائمها وثبت ما في طبيعتها من التوقد والتلهب وقد حكي عن بعض المتفلسفين انه كان يتعمد مواطن الخطر فيقف فيها ويحمل نفسه
على المخاطرات العظيمة بالتعرض لها وتركب البحر عند اضطرابه ويحمل ليعود نفسه الثبات في المخاوف ويحرك منها القوة التي تسكن
عند الحاجة الى حركتها ويخرجها عن رذيلة الكسل والجبن ولا يكره لصاحب مثل هذا المرض بعض المراء والتعرض للاهانة وخصومة
من يأمن غائلته حتى يقرب من الفضيلة التي هي وسط بين الرذيلتين اعني الشجاعة التي هي صحة النفس الخلقية فاذا وجدها
بها من نفسه كف ووقف ولم يتجاوز حدها من الوقوع في الجانب الاخر الذي علمناك علاجه ولما كان الخوف الشديد الذي
غير طبيعي من امراض النفس وكان متصلا بهذه القوة وجب ان نذكر اسبابه وعلاجه فنقول ان الخوف يعرض من توقع مكروه
وانتظار محذور والتوقع والانتظار انما يكونان للحوادث في الزمان المستقبل وهذه الحوادث ربما كانت عظيمة وربما كا(نت)
يسيرة وربما كانت ضرورية وربما كانت ممكنة والامور الممكنة ربما كانت من اسبابنا وربما كان غيرنا سببها وجميع هذه الاقسام
ليس ينبغي للعاقل ان يخاف منها اما الامور الممكنة فهي بالجملة مترجحة بين ان يكون وبين ان لا يكون وليس يجب ان يصمم على انه يكون
فيستشعر الخوف منها ويتعجل مكروه التألم بما يجيء بعد ولم يقع ولعله لا يقع وقد احسن الشاعر في قوله شعر وقل للعواذل ان
تراءيك نرجسة من الروع في فرح الربع باطلة + فهذه حال ما كان منها عن سبب من خارج وقد اعلمناك انها ليست
من الواجبات التي لا بد من وقوعها وما كان كذلك فالخوف من مكروهه يجب ان يكون على قدر حدوثه وانما يحسن العيش و
يطيب الحياة بالظن الجميل والامل القوي وترك الفكر في كل ما يمكن ان لا يقع من المكاره واما ما كان بسبب اختيارنا
وجناياتنا على انفسنا فينبغي ان نحترس منه بترك الذنوب والجنايات التي نخاف من عواقبها ولا نقدم على امر لا نأمن غائلته
فان هذا فعل من نسي ان الممكن هو الذي يجوز ان يكون ويجوز ان لا يكون وذلك انه اذا اتى ذنبا وخشي خوفا
قدر في نفسه مخوفا لا يظهر امره ولا يخفى فيظهر الا انه يمكن ان لا يكون له غاية وكانه يجعل طبيعة الممكن واجبا كما
ان هذا القسم الاول يجعل ايضا الممكن واجبا الا ان هذا يا من جانب الجبن وضعفه وذلك يخاف الجانب المقابل الذي
اعني بهذا ان الممكن لما كان متوسطا بين الجانب الواجب والجانب الممتنع صار كالشيء الذي له جهتان احدهما

تلى الواجب والاخرى تلى الممتنع ومثال ذلك خط **ا ح ب** فنقطة **ا** هى الجانب الواجب ونقطة **ب** هى الجانب
الممتنع وموضع **ح** هو الممكن وبعده من الجانبين بعد واحد له الى نقطة **ا** جهة وله الى نقطة **ب** جهة واذا صار
مستقبلة ماضيا بطل اسم الممكن عنه وحصل له ما فى جانب الواجب او ما فى جانب الممتنع وليس ينبغى ما دام ممكنا ان
يحسب لا من هذا الجانب ولا من ذلك الجانب بل يعتقد فيه طبيعة الخاص وهو انه يمكن ان يصير الى ههنا والى هناك
ولهذا قال الحكيم وجوه الامور الممكنة فى اعقابها واما الامور الضرورية كالهرم وتوابعه ومن احب طول العمر فقد احب لا محالة
الهرم واستشعر استشعارا ما لا بد منه ومع الهرم يحدث نقصان الحرارة الغريزية والرطوبة الاصلية التابعة لها
وغلبة ضديهما من البرد واليبس وضعف الاعضاء الاصلية كلها ويتبع ذلك قلة الحركة وبطلان النشاط
وضعف آلات الهضم وسقوط آلات الطحن ونقصان القوى المدبرة للحيوة اعنى القوى الجاذبة والدافعة والممسكة
والغاذية وسائر ما يتبعها من مواد الحيوة وليست الامراض والالام شيئا غير هذه الاشياء ثم يتبع ذلك موت الاحباب
وفقد الاعزة فالمستشعر لها الملتزم لشرائطها فى مبدأ كونه لا يخاف منها بل ينتظرها ويرجوها ويدعى الله تعالى ان يبلغه اليها
فيها عند الصلوات وفى المساجد والمشاهد فهذه جملة الكلام على الخوف المطلق ولما كان اعظم ما يلحق
الانسان منه هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه اشد وابلغ من جميع المخاوف وجب ان نقدم الكلام
فيه فنقول ان الخوف من الموت فليس يعرض الا لمن لا يدرى ما الموت على الحقيقة او لا يعلم الى اين تصير نفسه او لانه يظن
ان بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور وان العالم سيبقى موجودا وليس
هو بموجود فيه كما يظنه من جهل بقاء النفس وكيفية المعاد او لانه يظن ان للموت الما عظيما غير الم الامراض التى ربما تقدمته
وادت اليه وكانت سبب حلوله او لانه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت او لانه متحير لا يدرى على اى شئ يقدم بعد
الموت او لانه ياسف على ما يخلفه من المال والقنيات وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها اما من جهل الموت ولم يدر
ما هو فانا نبين له ان الموت ليس بشئ اكثر من ترك النفس استعمال الاتها وهى الاعضاء التى مجموعها يسمى بدنا كما يترك
الصانع استعمال الاته فان النفس جوهر غير جسمانى وليست عرضا وانها غير قابلة للفساد وهذا البيان يحتاج فيه الى علوم
تتقدمه وهو مبرهن مشروح على الاستقصاء فى موضعه الخاص ومن تطلع اليه وتشوق للوقوف عليه فليبعد مرامه
ومن قنع بما ذكرته فى صدر هذا الكتاب سكنت نفسه اليه علم ان ذلك الجوهر مفارق لجوهر البدن مباين له بكل المباينة

بذاته وخواصه وافعاله واثاره فاذا فارق البدن كما قلنا وعلى الشريطة التى شرطنا بقى البقاء الذى يخصه ونقى من كدر الطبيعة
وسعد السعادة التامة ولا سبيل الى فنائه وعدمه فان الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ولا يبطل ذاته وانما يبطل الاعراض والخواص
والنسب والاضافات التى بينه وبين الاجسام باضدادها فاما الجوهر فلا ضد له وكل شئ يفسد فانما فساده من ضده وقد يمكنك
ان تقف على ذلك بسهولة من اوائل المنطق قبل ان تصل الى براهينه وان انت تاملت الجوهر الجسمانى الذى هو اخس من ذلك
الجوهر الكريم واستقريت حاله وجدته غير فان ولا متلاش من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعضه الى بعض فيبطل خواص شئ
منه واعراضه فاما الجوهر نفسه فهو باق لا سبيل الى عدمه وبطلانه مثال ذلك الماء فانه يستحيل بخارا او هواء وكذلك
الهواء يستحيل ماء ونارا فيبطل عن الجوهر اعراضه وخواصه واما الجوهر من حيث هو جوهر فانه باق لا سبيل الى عدمه هذا
فى الجوهر الجسمانى القابل للاستحالة والتغير فاما الجوهر الروحانى الذى لا يقبل استحالة ولا تغيرا فى ذاته وانما يقبل كمالاته
وتمامات صورته فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشى فاما من يخاف الموت لانه لا يعلم الى اين تصير نفسه او لانه يظن ان بدنه
اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد فليس يخاف الموت على الحقيقة وانما
يجهل ما ينبغى ان يعلمه فالجهل اذن هو المخوف اذ هو سبب الخوف وهذا الجهل هو الذى حمل الحكماء على طلب العلم والتعب
به وتركوا لاجله لذات النفس وراحات البدن واختاروا عليه النصب والسهر وراوا ان الراحة التى يستراح بها من الجهل
هى الراحة بالحقيقة وان التعب الحقيقى هو تعب الجهل لانه مرض مزمن للنفس والبرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة
ابدية فلما تيقن الحكماء ذلك واستبصروا فيه وهجموا على حقيقته ووصلوا الى الروح والراحة به هانت عليهم امور الدنيا
كلها واستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية والمطالب التى تؤدى اليها اذا كانت قليلة
الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء كثيرة الهموم اذا وجدت عظيمة الغموم اذا فقدت فاقتصروا منها على المقدار
الضرورى فى الحيوة وتسلوا عن فضول العيش التى فيها ما ذكرت من العيوب وما لم اذكره ولانها مع ذلك بلا نهاية
وذلك ان الانسان اذا بلغ منها الى غاية تاقت نفسه الى غاية اخرى من غير توقف على حد ولا انتهاء الى امد وهذا
هو الموت ولا ما خاف منه والحرص عليه هو الحرص على الزائل والشغل به هو الشغل بالباطل ولذلك جزم الحكماء
الحكم بان الموت موتان موت ارادى وموت طبيعى وكذلك الحيوة حيوتان حيوة ارادية وحيوة طبيعية وعنوا بالموت الارادى
اماتة الشهوات وترك التعرض لها وعنوا بالموت الطبيعى مفارقة النفس البدن وعنوا بالحيوة الارادية ما يسعى له

له الانسان في حيوة الدنيا من الماكل والمشارب والشهوات وبالحيوة الطبيعية بقاء النفس وسرمدها في الغبطة
الابدية بما يستفيده من العلوم وبراءته من الجهل ولذلك وصى افلاطن طالب الحكمة بان قال له مت بالارادة تحي
بالطبيعة على ان من خاف الموت الطبيعي للانسان فقد خاف ما ينبغي ان يرجوه وذلك ان هذا الموت هو تمام حد
الانسان لانه حي ناطق مائت فالموت تمامه وكماله وبه يصير الى افقه الاعلى ومن علم ان كل شيء هو مركب من حده وحده
مركب من جنسه وفصله وان جنس الانسان هو الحي وفصلاه هو الناطق المائت علم انه سينحل الى جنسه وفصله لان كل مركب
لا محالة سينحل الى الشيء الذي منه تركب فمن اجهل ممن يخاف تمام ذاته ومن اسوأ ممن يظن ان فناءه بحيوته ونقصانه بتمامه
وذلك ان الناقص اذا خاف ان يتم فقد دل من نفسه على غاية الجهل فاذن يجب على العاقل ان يستوحش من النقصان
ويانس بالتمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله ويشرفه ويعلي منزلته ويحل رباطه من الوجه الذي يامن به الوقوع في الاسر لا
من الوجه الذي يشد وثاقه ويزيده تركيبا وتعقيدا ويثق بان الجوهر الشريف الالهي اذا تخلص من الجوهر الكثيف الجسماني
خلاص نقاء وصفاء لا خلاص مزاج وكدر فقد سعد وعاد الى ملكوته وقرب من باريه وفاز بجوار رب العالمين وخالط الارواح
الطيبة من اشكاله واشباهه ونجا من اضداده واغياره ومن ههنا نعلم ان من فارقت نفسه بدنه وهي مشتاقة
اليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهي في غاية الشقاء والبعد من ذاتها وجوهرها سالكة الى ابعد جهاتها من مستقرها
طالبة قرار من لا قرار له فاما من ظن ان للموت الما عظيما غير الم الامراض التي ربما اتفقت له وادت اليه فعلاجه ان يبين
له ان هذا الظن كاذب لان الالم انما يكون للحي والحي هو القابل اثر النفس فاما الجسم الذي ليس فيه اثر النفس فانه
لا يالم ولا يحس فاذن الموت الذي هو مفارقة النفس البدن لا الم له لان البدن انما كان يالم ويحس بالنفس وحصول
اثرها فيه فاذا صار جسما لا اثر فيه للنفس فلا حس له ولا الم فقد تبين ان الموت حال للبدن غير محسوس عنده ولا
مولم فراق ما به كان يحس ويتالم فاما من خاف الموت لاجل العقاب الذي يوعد به بعده فينبغي ان يبين له انه ليس يخاف
الموت بل يخاف العقاب والعقاب انما يكون على شيء باق بعد البدن الداثر ومن اعترف بشيء باق منه بعد البدن فهو لا محالة
سيعترف بذنوب له وافعال سيئة يستحق عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات
فهو اذن خائف من ذنوبه لا من الموت ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه ان يحذر ذلك الذنب ويجتنبه وقد بينا فيما
تقدم ان الافعال الردية التي تسمى ذنوبا انما تصدر عن هيئات ردية والهيئات الردية هي للنفس وهي الرذائل التي احصيناها

وعرفناك اضداده من الفضائل فاذن الخائف من الموت على هذه الطريقة ومن هذه الجهة هو جاهل بما ينبغي ان يخاف
منه وخائف مما لا اثر له ولا خوف منه وعلاج الجهل العلم ومن علم فقد وثق ومن وثق فقد هدي سبيل السعادة فهو يسلكها ويسلك
طريقا مستقيما الى غرض افضى اليه لا محالة وهذه الثقة التي تكون بالعلم وهي اليقين وهي حال المستبصر في دينه المستمسك
بحكمته وقد عرفناك مرتبته ومقامه فيما سلف من القول فاما من زعم انه ليس يخاف وانما يحزن على ما يخلف من اهل
وولد ومال ونسب ويتاسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها فينبغي ان نبين له ان الحزن يعجل الم ومكروه
على ما لا يجدي الحزن عليه طائلا وسنذكر علاجه في باب مفرد له خاص به لانا في هذا الباب انما نذكر الم الخوف وعلاجه
وقد اثبتنا منه على ما فيه مقنع وكفاية لمن اراد بيانا وشفاء فنقول ان الانسان من جملة الامور الكائنة فقد تبين في
الآراء الفلسفية ان كل كائن فاسد لا محالة فمن احب ان لا يفسد فقد احب ان لا يكون ومن احب ان لا يكون فقد احب
فساد ذاته فكانه يحب ان يفسد ويحب ان لا يفسد ويحب ان يكون ويحب ان لا يكون وهذا محال لا يخطر ببال عاقل وايضا فانه لو
لم يمت اسلافنا وآباؤنا لم ينته الوجود الينا ولو جاز ان يبقى الانسان لبقي من تقدمنا ولو بقي الناس على ما هم عليه من
التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الارض وانت تتبين ذلك مما اقول قدر ان رجلا واحدا ممن كان منذ اربعمائة سنة
موجود الآن وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن ان يحصل اولاده موجودين معروفين كعلي بن ابي طالب عليه السلام
مثلا وولده اولاد ولاولاده اولاد وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم احد كم كان مقدار من يجتمع منهم في وقتنا
هذا فانك ستجدهم اكثر من عشرة الف الف رجل وذلك ان من بقيتهم الآن مع ما قد رفيهم من الموت والقتل الذريع اكثر من
مائة الف انسان احسب لكل من كان في ذلك العصر من الناس في بسيط الارض شرقا وغربا مثل هذا الحساب فانهم اذا
تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة ولم تحصهم عدد ثم امسح بسيط الارض فانه محدود معروف المساحة لتعلم ان الارض
حينئذ لا تسعهم قياما متراصين فكيف قعودا ومتصرفين ولا يبقى موضع لعمارة يفضل عنهم ولا مكان لزراعة ولا مسير لاحد
ولا حركة فضلا عن غيرها وهذا في مدة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتد الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة فهذه
حال من يتمنى الحيوة الابدية ويكره الموت ويظن ان ذلك ممكن او مطموع فيه من الجهل والغباوة فاذن الحكمة البالغة
والعدل المبسوط بالتدبير الالهي هو الصواب الذي لا معدل عنه ولا محيص منه وهو غاية الجود الذي ليس وراءه غاية
اخرى لطالب مستزيد ولراغب مستفيد والخائف منه هو الخائف من عدل الباري وحكمته بل هو الخائف من جوده وعطائه

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] علاج الحزن [illegible]

سببه الحرص على القنيات [illegible] والشوق الى الشهوات البدنية [illegible]

[illegible] وان جميع ما [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

محزون والمحزون شقي ومن استشعر بالعادة الجميلة لن يرضى بكل ما يجده ولا يحزن لشيء يفوته لم يزل مسـ
ظن ظان ان هذا الاستشعار لا يتم او لا ينتفع به فلينظر الى استشعار الناس في مطالبهم ومعايشهم واختلافهم فيه
بحسب قوة الاستشعار فيهم ... يتبينه ظاهرة فرح المتعيشين بمعايشهم على تفاوتها ومراتب الحرف المختلفة
بباينها وليتصفح ذلك في طبقة طبقة من الدهماء فانه لا يخفى عليه فرح التاجر بتجارته والجندي بشجاعته واله
... مارة والشاطر بشطارته حتى يظن كل واحد منهم ان المغبون من عدم تلك الحالة حتى فقد بهجتها والمجنون من غبي
عنها وحرم لذاتها وليس في ذلك الا بقوة استشعار كل طائفة بحسن مذهبه ولزومه اياه بالعادة الطويلة اذا الزم
طالب الفضيلة مذهبه وقوي استشعاره وحسن رأيه وطالت عادته كان اولى بالسرور من هذه الطبقات
الذين يخبطون في جهالتهم وكان احظاهم بالنعيم المقيم لانه محق وهم مبطلون وهو متيقن وهم ظانون ثم هو صحيح وهم
مرضى وهو سعيد وهم اشقياء ... قال الله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون. وقال الكندي في كتاب دفع الاحزان مما يدلك دلالة واضحة على ان الحزن شيء يجتلبه الانسان
ويضعه وضعا وليس هو من الاشياء الطبيعية ان من فقد ملكا او طلب امرا فلم يجده ولحقه حزن ثم نظر في حزنه
ذلك نظرا حكيما وعرف ان اسباب حزنه هي اسباب غير ضرورية وان كثيرا من الناس ليس لهم تلك الملاك
وهم غير محزونين بل فرحين مغتبطين علم علما لا ريب فيه ان الحزن ليس بضروري ولا بطبيعي وان من حزن من
الناس وجلب لنفسه هذا العارض فلا محالة سيسلو ويعود الى حاله الطبيعي فقد شاهدنا قوما فقدوا من الاولاد
والاعزة والاصدقاء والاحبة من اشتد حزنهم عليهم ثم لا يلبثون ان يعودوا الى حال السرور والضحك والغبطة و
الى حال من لم يحزن قط وكذلك حال من ... الى والضياع وجميع ما يقتنيه الانسان مما يعز عليه
فانه لا محالة يتسلى ويزول حزنه ويعود الى النشاط اعتبارا فالعاقل اذا نظر الى احوال الناس في الحزن واسبا
به انه ليس يختص من بينهم بمصيبة غريبة ولا يتميز عنهم بمحنة بديعة وان ما ينوبه من مصيبة السلوة وان الحزن هو مرض
يجري مجرى سائر الرداءات فلم يضع لنفسه عارضا رديا ولم يكتسب مرضا وضعيفا غير محتلبا عن طبع وينبغي ان يتذكر
ذكره من حال من يحيى بحية على من يشمها ويتمتع بها ثم لم يردها اليشمها غيره ويتمتع بها ... سواء فاظعته
ان انها موهوبة له هبة ابدية فلما احدث منه حزن باسترد وغضب في هذه الحال من عدم عقله وطبعه

حده حال الحسود لانه يحب ان يستبد بالخيرات من غير مشاركة الناس والحسد اقبح الامراض واشنع الشرور

حتى قالت الحكماء من احب ان ينال اصدقاؤه الشر فهو محب لشر ومحب الشر شرير وشر من هذا من احب الشر لمن

ليس له بعدو واسوء حالا من هذا من احب ان لا ينال اصدقاؤه خيرا ومن احب ان يحرم صديقه الخير فقد

احب له الشر ويجيء من هذه الرداءة الحزن على ما يقتنا وله الناس من الخيرات وان يحسدهم على ما يصلون

اليه منها وسواء كانت هذه الخيرات من قنياتنا وما ملكناه او مما لم نقتن ولم نملكه لان الجميع مشترك للناس

وهي ودايع الله عز وجل عند خلقه وله ان يرتجع العارية متى شاء على يد من شاء ولا اسية علينا ولا عار اذا رددنا الودايع وانما

العار والسيئة ان نحزن اذا ارتجع منا منها وهو معنى ذلك كفر النعمة لان اقل ما يجب من الشكر للمعير ان يرد عليه عاريته

على طيب نفس ويسرع الى اجابته اذا استردها لا سيما اذا ترك المعير علينا افضل ما اعارنا وارتجع اخسه قال واعني

بالافضل الاجل ما لا يصل اليه يد ولا يشركه فيه احد اعني النفس والعقل والفضايل الموهوبة لنا فانه لا يرتجع ولا

تسترد ونقول له الاقل الاخس لما اقتضاه العقل فقد ابقى الاكثر الافضل وانه لو كان واجبا ان يحزن بكل ما

قد يفقد لوجب ان يكون ابدا محزونين فينبغي للعاقل ان لا يفكر في الاشياء الضارة المولمة وان يقل من القنية

ما استطاع اذ كان فقدها سببا للاحزان فقد حكي عن سقراط انه سئل عن سبب نشاطه

وقلة حزنه فقال لاني لا اقتني ما اذا فقدته حزنت عليه واذ قد ذكرنا اجناس الامراض العارضة التي

تخص النفس واشرنا الى علاجاتها ودللنا على اشفيتها فليس يعذر على العاقل

الحب للنفس بسبب [illegible] لاسيما من هو كان تتبع الامراض

التي تحت هذه الاجناس من انواعها واشخاصها فيداويها

بقابلها من العلاج والرغبة الى الله عز وجل بعد ذلك في

التوفيق فان التوفيق مقرون بالاجتهاد وليس يتم احدهما

الا بالاخر والحمد لله رب العالمين والصلوة

على نبيه محمد واله

الطاهرين

خاتمة الطبع

الحمد لله الذی هذب الانسان بتهذیب الاخلاق وطهره تطهیرا + وفضله علی سائر المخلوقات بالفضائل العلیة ووقره توقیرا
والصلوة والسلام علی رسوله محمد الذی شرف العالم بالایمان ونوره تنویرا + وعلی آله واصحابه الذین هم جمعوا القرآن
وفسروه تفسیرا + **اما بعد** فیقول العبد المفتاق الی رحمة الله القوی المدعو به **محمد معشوق علی** صانه الله عن شر کل غوی
وغبی + ان الرسالة المسماة **بکتاب الطهارة** فی تهذیب الاخلاق للحکیم الکامل من المتاخرین + وهو **علی بن**
یعقوب مسکویه الخازن الرازی + لما کانت مشتملة علی فوائد لطیفه + وقواعد شریفه + ومطالب عجیبه + ومآرب
غریبه + وصارت لقصور همم الطالبین مستورة تحت الاستار + حتی لم توجد الا نسخة واحدة ناقصة فی هذه الامصار
سوّد عنان عنایته الصاحب المکرم + والحاکم المعظم + المنصف المنعم + العادل الاکرم + السخی الاعظم + کپتان
غلی جرجس صاحب بهادر قائم مقام صاحب رزیڈنٹ بهادر بیت السلطنت لکنو + لازال شموس
اقباله طالعة + الی ان یظهرها غایة الاظهار + وینتشرها نهایة الانتشار + ویشهرها کالشمس فی نصف النهار
والبدر فی لیالی الاقمار + فامر بطبعها فی المطبعة العلویه + فکلفنی صاحب المطبع بتصحیحه و
تنقیحه + وحل لغاته وتوضیحه + فلم آل جهدا فیه + وقد وقع الفراغ عن طبع ذلک الکتاب
بلده الثالث عشر من شهر صفر المظفر + سنة الف ومائتین واحدی وسبعین
من الهجرة النبویه + علی صاحبها الصلوة
والتحیة + فالحمد لله اولا وآخرا +

۱۲۷۱ھ

فقط + + + +

+ + +

+